حولية كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

الرسالة الرابعة

في التاريخ

الأمير تنكز الحسامي

نائب الشام في الفترة

٧١٢ - ٧٤١ هـ / ١٣١٢ - ١٣٤٠ م

د. حياة ناصر الحجي

قسم التاريخ - جامعة الكويت

الحولية الأولى ، ١٩٨٠ - ١٣٩٩ هـ

حولية كلية الآداب

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت

رئيس التحرير: د. خلدون حسن النقيب
مدير التحرير: عبد العزيز السيد احمد
سكرتير التحرير: محمود برگات

هيئة التحرير

د. رشا حمود الصباح — د. عبد الرسول الموسى
أ.د. سعد عبد الرحمن — د. عبد الله أحمد المهنا
أ.د. شاكر مصطفى — د. عبد المالك التميمي
د. شفيقة بستكي — د. فهد ثاقب الثاقب

ثمن الرسالة

الكويت ٤٠٠ فلس - البحرين نصف دينار - قطر ٥ ريالات - الامارات ٥ دراهم - السعودية ٥ ريالات عمان نصف ريال - اليمن الجنوبي ٢٠٠ فلس - اليمن الشمالي ٣ ريالات - العراق ٤٠٠ فلس ج.م.ع. ٢٥٠ قرشا - لبنان ٥ ليرات - الاردن ٢٥٠ فلسا - سوريا ٥ ليرات - السودان ٢٥٠ مليما ليبيا ٤٠ قرشا - الجزائر ٥ دنانير - تونس ٤٠٠ مليم - المغرب ٥ دراهم .

ثمن الحوالية السنوية

للافراد دينارات كويتيان في الكويت - دينار وخمسمائة فلس في الوطن العربي - عشرون دولارا امريكيا في الخارج بالبريد الجوي .

للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية عشرة دنانير كويتية - في الخارج اربعون دولارا امريكيا .

لأعضاء هيئة التدريس والطلاب خصم ٥٠٪

جميع المراسلات الخاصة بشروط النشر او اية استفسارات اخرى بشأن الحوليات توجه الى :

رئيس تحرير الحوليات ص.ب : ٢٦٥٨٥ الصفاة - الكويت

تصدر عن كلية الآداب - جامعة الكويت
الحولية الأولى - ١٩٨٠ - ١٣٩٩ هـ

الرسالة الرابعة
في التاريخ

الأمير تنكز الحسامي

نائب الشام في الفترة
٧١٢ - ٧٤١ هـ / ١٣١٢ - ١٣٤٠ م

د. حياة ناصر الحجي
قسم التاريخ - جامعة الكويت

صدر من هذه الحوليـــات

الحوليـــة الاولى

الرسالة الاولى (في الفلسفة)
الجذور الفلسفية للبنـــائية
د. فؤاد زكريا
قسم الفلسفة

الرسالة الثانية (في التاريخ)
صفحات مجهولة من تاريخ ليبيـــا
د. محمد صالحية
قسم التاريخ

الرسالة الثالثة (في الأدب)
ابن قلاقس (حياته وشعره)
د. ســـــهام الفريح
قسم اللغة العربية

قواعد النشر في حوليات كلية الآداب

١ ـ تنشر الحوليات البحوث والدراسات الأصيلة لأعضاء هيئة التدريس في كلية الآداب بجامعة الكويت أو من سبق لهم العمل بها او من توافق هيئة التحرير على قبول بحوثهم في جميع حقول العلوم الانسانية والاجتماعية ٠

٢ ـ تقبل الابحاث باللغتين العربية والانجليزية على ان لا يقل حجم البحث عن (٤٠) صفحة من الحجم العادي (١٨٠٠٠) كلمة ، وذلك عدا الحواشي والمراجـــع ٠

٣ ـ ينبغي ان تراعى البحوث ما يلـي :

ا ـ اعتماد الأصول العلمية في اعداد وكتابة البحث من توثيق وهوامش

ب ـ الا يكون البحث سبق نشره ٠

جـ ـ يستهل البحث بموجز في حدود ٢٠٠ كلمة بلغة البحث ٠

د ـ أن تزود الحوليات بثلاث نسخ من البحث ، وترفق به خلاصة في حدود صفحة واحدة باللغة الانجليزية ان كان بالعربية ، وباللغة العربية ان كان بالانجليزية ٠

هـ ـ ان يتضمن غلاف البحث اسم المؤلف واسم المعهد العلمي الذي ينتمي اليه ، ويكتب في صفحة منفصلة المزيد من المعلومات عن المؤلف وبخاصة القسم الذي يعمل فيه ، وعنوانه الكامل ٠

٤ ـ توجه الأبحاث الى : رئيس تحرير حوليات كلية الآداب ـ جامعة الكويت ص٠ب : ٢٦٥٨٥ ، الصفاة ٠

٥ ـ يتم عرض الأبحاث ـ على نحو سري ـ على محكم (أو اكثر) من المختصين الذين تختارهم هيئة التحرير ، ويحسن أن يكون المحكمون خارجيين ، فان اختلف الراي في التحـكيم عرض البحث على محـكم ثالث ان رأت ادارة التحرير ضرورة لذلك ٠

٦ ـ يبلغ رئيس التحرير اصحاب الأبحاث عن استلام المجلة ابحاثهم خـلال اسبوع من تاريخ الاستلام ، على ان يتبلغوا بالقرار حول صلاحية البحث للنشر أو عدمه خلال مدة لا تتجاوز الشهر ٠

٧ ـ يقوم رئيس التحرير بتبليغ اصحاب الأبحاث بالراي النهائي للمحكمين بخصوص تلك الدراسات ، وذلك ضمن الترتيبات التالية :

ا ـ يبلغ اصحاب الأبحاث التي تقبل للنشر بموافقة هيئة التحرير على نشرها ، وبموعـد النشر ٠

ب ـ الأبحاث التي يرى المحكمون وجـوب اجـراء بعض التعديلات او الاضافات عليها قبل نشرها ، تعـاد الى اصحابها مع الملاحظـات المحددة كي يعملوا على اعدادها نهائيا للنشر ٠

جـ ـ الأبحاث المرفوضة تعاد الى اصحابها دون ابداء اسباب الرفض ٠

د ـ يمنح كل باحث خمسين مستلا من بحثه المنشور ٠

٨ ـ يجوز اعادة نشر البحوث الصادرة عن الحوليات على ان يشار الى الحوليات باعتبارها مصدر النشر الأصلي ٠

المحتوى

ملخص	٩
الامير تنكز الحسامي	١١
اصله وظهوره على مسرح الاحداث	١٢
الوحشة بين الناصر محمد والامير تنكز	٣٣
نهـاية تنكز	٤٩
سياسة الناصر محمد تجاه كبار الامراء	٦١
الهوامش	٦٤
قائمة الاختصارات	٦٨
المصادر والمراجع	٧٠

ملخص

يتضمن التاريخ الاسلامي الكثير من الصفحات الغامضة التي لا بد أن يعكف بعض الباحثين على تفحصها ودراستها للتوصل الى الحقائق المتعلقة بهذه الحقبة أو تلك الفترة. وتعتبر نيابة الامير المملوكي تنكز الحسامي ، نائب الشام في الفترة ٧١٢ - ٧٤١هـ ١٣١٢ - ١٣٤٠م، احدى هذا الصفحات. ومن ثم رأينا أهمية التدقيق بحوادث هذا العهد وتأثيراته المختلفة.

وقد كان للتعاون المخلص بين السلطان الناصر محمد بن قلاون ونائبه الامير تنكز الحسامي نتائج طيبة تظهر واضحة فيما حظيت به الشام خلال هذه الفترة من استقرار سياسي، وازدهار اقتصادي، وتفوق فكري. واستمر ذلك الوضع المطمئن طيلة اثنتين وثلاثين سنة إلا أن تدخل الكثير من العناصر الخارجية والاسباب الداخلية ادى إلى توتر العلاقة بين الناصر محمد ونائب الشام حتى انتهى ذلك بالقبض عليه واعدامه.

وتكمن أهمية البحث في توضيح طبيعة العلاقة بين السلطان المملوكي ونوابه في الاقاليم المملوكية. وكذلك نوعية الشخصيات التي تولت مقاليد الشئون الداخلية في الولايات المصرية والشامية في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي. الى جانب التركيز على هدف الجهاد الاسلامي وتأمين الحدود الشمالية والشرقية لسلطنة المماليك. علاوة على بيان أهمية السلامة الداخلية في البلاد، وما يترتب على ذلك من انتعاش أسباب التقدم الاقتصادي وأنشطته المختلفة. بالاضافة الى توضيح موجز حول اهتمام الامير تنكز الحسامي بمنزلة العلم والعلماء مما هيأ لظهور عوامل التفوق الفكري الديني والعلماني. مع العناية الواضحة بالنهضة العمرانية خاصة المراكز الدينية العديدة.

وهكذا أمكننا التوصل إلى جوهر السياسة المملوكية في الاقاليم المملوكية، وأثر ذلك على تطور الأوضاع الخاصة في مجالات السياسة والاقتصاد والفكر.

الأمير تنكز الحسامي

تذكر الحوليات المملوكية الكثير من سيرة الأمير تنكز الحسامي وما حدث له طوال حياته من تناقضات في مظاهر الرفعة والمذلة الى درجة أننا نجد أنفسنا نتساءل: ترى من تنكز الحسامي[1] هذا؟ وكيف استطاع أن يستمر في حكم الشام أكثر من ربع قرن في عصر شهد الكثير من مؤامرات الاعتقال والاغتيال؟ وما الدور الذي لعبه؟ وأثر بالتالي في طبيعة التكوين السياسي ونظام الحكم في دولة المماليك حتى استحق كل هذا الاهتمام؟

يقول العيني:

« الأمير سيف الدين تنكز الحسامي نائب الشام جلب الى مصر وهو صغير فنشأ بها ، وكان أبيض الى السمرة رشيق القد مليح الشعر خفيف اللحية ، جلبه خواجا علاء الدين السيواسي ، فاشتراه المنصور لاجين في سلطنته ، فلما قتل وتولى الناصر محمد صار المذكور من جملة خاصكيته ، فحضر معه ، وقعة شقحب ، وسمع صحيح البخاري غير مرة من ابن الشحنة وسمع كتاب الآثار للطحاوي ، وصحيح مسلم من عيسى المطعم أبي بكر ابن عبد الدائم ، وحدث وأمره السلطان امرة عشرة قبل توجهه الى الكرك ، فلما توجه اليها وتوجه معه تنكز في خدمته ، وجهزه مرة الى دمشق رسولا الى الافرم[2] فاتهمه ان معه كتبا الى الأمراء ، فجعل له منه مخافة شديدة وفتشوه وعرضوا عليه العقوبة ، فلما عاد الى السلطان عرفه ذلك ، فقال له ان عدت الى الملك ، فأنت نائب الشام

(العيني، مخطوط ، ٢٢٣٦٠ : ور ٣٩ب ـ ٤٠أ)

أصله وظهوره على مسرح الحوادث

اذن فقد كان تنكز الحسامي مملوكا يشابه في أصله بقية السلاطين والأمراء المماليك الذين جلبوا الى مصر كي يباعوا الى أولي الأمر في البلاد ، ومن ثم ينشأوا في البلاد السلطاني لكي يترقوا تدريجياً في السلم الاداري العالي في الدولة ، بل ويكونوا جزءاً من الطبقة الأوليجاركية الارستقراطية الحاكمة أو تلك الفئة من كبار الأمراء في سلطنة المماليك ، ويتفق ابن حجر مع المؤرخ العيني في مسألة اصل « تنكز » ولكن يختلف في أن حسام الدين لاجين كان اول من امتلك هذا المملوك التركي الأصل من ذلك قوله :

« تنكز نائب الشام ، يكنى ابا سعيد ، جلب الى مصر وهو صغير فاشتراه الاشرف ، وأخذه لاجين بعده ثم صار الى الناصر ، فأمره عشرة قبل توجهه الى الكرك ، ثم كان في صحبته بالكرك يترسل بينه وبين الافرم ، فاتهمه الافرم مرة ان معه كتبا الى امراء الشام ففتشه وعرض عليه العقوبة ، فرجع الى الناصر وشكا اليه ما لاقاه من الاهانة فقال له : « ان عدت الى الملك ، فأنت نائب الشام عوضه ». (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٥)

ويؤكد الصفدي كون تنكز مملوك الاشرف خليل بن قلاون اصلا فيقول :

« الامير سيف الدين تنكز ابو سعيد الناصري مملوك الملك الاشرف والناس يعتقدون انه مملوك « لاجين » ، أمره السلطان الملك الناصر عشرة قبل توجهه الى الكرك ، وجاء في الرسلية عن السلطان من الكرك » . (الصفدي ، مخطوط ، ٥٨٢٧ ـ ورقه ٢٠١ أ)

كما يقول أبو المحاسن :

« وكان الملك الناصر أمره إمرة عشرة قبل توجهه الى الكرك ، ثم ساق توجهه مع الملك الناصر الى الكرك وخروجه من الكرك الى مصر ، وغيرهما الى أن ولاه السلطان نيابة دمشق في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة فأقام بدمشق نائبا ثمانيا وعشرين سنة ». (ابن تغرى بردى ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ ، جزء ٩ : ١٥٣)

أما بالنسبة لنشاطه في ميدان الجهاد الاسلامي ، فيذكر أبو المحاسن انه شهد مع الناصر محمد وقعة وادي الخازندار ثم وقعة

شقحب ، ولهذا كان يعرف تنكز « بالحسامي ». (ابن ثغرى بردى ، جزء ٩ : ١٥٣)

وفي حقل الثقافة والتعليم الديني المعاصر وقتذاك نلاحظ ان تنكز سمع « صحيح البخاري غير مرة من ابن الشحنة ، وسمع كتاب « معاني الآثار » للطحاوي وصحيح مسلم ، وسمع من عيسى المطعم وأبي بكر بن عبد الدائم وحدث وقرأ عليه بعض المحدثين ثلاثيات بالمدينة النبوية » . (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٥٣)[٣]

ويتفق مؤرخو العصر المملوكي على انه بعد عودة الناصر محمد من الكرك كي يتولى زمام حكم دولة المماليك للمرة الثالثة أصدر مرسوماً بتعيين تنكز الحسامي نائبا للشام عوضا عن الأمير جمال الدين آقش الافرم ، وذلك في ربيع الثاني سنة ٧١٢هـ / آب - أغسطس سنة ١٣١٢م[٤] .

ويبدو ان الناصر محمداً كان يهدف من وراء تنفيذ هذه الخطوة ان يوجد لنفسه في فترة حكمه تلك نوابا مخلصين يتفانون في العمل على تعزيز سلطته في مختلف ولايات الدولة ، ويكونوا بمثابة الساعد الأيمن له في تلك المرحلة الحاسمة في تاريخ سلطنة المماليك ، اذ يقول ابن حجر انه لما عاد الناصر محمد الى كرسي الحكم .

« قال لتنكز ولسودي:[٥] « لازما أرغون[٦] النائب وتعلما أحكامه فلازماه سنة ثم جهز سودي لنيابة حلب ، وتنكز لنيابة الشام على البريد . وكان أول ما أمر طبلخاناة في أواخر شوال ٧٠٩ هـ . بعد رجوع الناصر الى المملكة ، وكانت ولايته دمشق في ربيع الآخر ٧١٢ هـ وأرسل معه الحاج ارقطاي[٧] والحسام طرنطاي[٨] وأمره ان لا يقطع امراً دونهما ، فباشرها ، وتمكن منها ولما لبس الخلعة ، وحضر الموكب مدحه علاء الدين بن غانم موقع الدست ، فأثابه ، واستمر بمجلس والى جانبه الارقطاي فتقرأ القصص عليهما ، وسلك تنكز سبيل الحرمة والناموس البالغ » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٥)

وهكذا استقر تنكز الحسامي في نيابة الشام ، ولعل هذا يعود بدرجة كبيرة الى شعور الناصر محمد بفضل تنكز عليه ، وخدمته اياه اثناء وجوده في الكرك محروماً من الحكم والسلطة ، فأراد أن يرد له هذا الجميل بأن يعينه نائبا في الشام ، بالإضافة الى تأكد الناصر محمد من اخلاص تنكز له ورغبته الصادقة في خدمته .

أما تنكز فقد « تمكن من النيابة » (الصفدي، مخطوط، ٥٨٢٧ : ورقة ٢٠١ أ) « الى ان صرف مقبوضا عليه بعد ثمانية وعشرين عاما » ، (ابن حبيب ، مخطوط ، ٢٢٣ : ورقة ٢٩٧ ب) وذلك في ٢٣ من ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ / حزيران - يونية ١٣٤٠م . (الصفدي، مخطوط، ٥٨٢٧ : ورقة ٢٠١أ)

وبمرور الوقت بلغ الأمير تنكز الحسامي

مكانة عالية في البلاط الناصري حتى بات الناصر محمد لا يرفض له طلبا حيث يذكر العيني :

« وتمكن تنكز في النيابة وسار بالمعسكر الى ملطية فافتتحها وعظم شأنه وهابته الملوك والأمراء ونواب الشام ولم يزل في ارتقاء وعلو درجة حتى كتب له اعز الله انصار المقر الكريم وفي الالقاب الاتابكي الزاهدي العابدي ، وفي النعوت معز الاسلام والمسلمين سيد الأمراء في العالمين ، وهذا لم يعهد انه كتب عن سلطان لنائب ولا لغيره وكان السلطان رحمه الله لا يفعل شيئا حتى يرسل اليه ويشاوره وقل ما كتب هو الى السلطان في شيء فرده وكان مع ذلك عفيف اليد لم يسمع عنه انه اخذ رشوة من احد لأجل إمرة أو وظيفة » . (العيني ، مخطوط ٢٢٣٦٠ : ورقة ٤٠أ)

وندهش في الحقيقة عندما نقرأ عن هذه الحظوة التي تمتع بها تنكز الحسامي ابان نيابته في الشام خاصة اذا ما قارنا هذا الوضع بقول الناصر محمد في بداية تعيينه لهذا المنصب اذ يقول المقريزي : « ورسم له الا يستبد بشيء إلا بعد الاتفاق مع الأمير سيف الدين ارقطاي ، والأمير حسام الدين طرنطاي البشمقدار » (المقريزي ، ١٩٣٩ ، جزء ٢ : ١١٨) . ولكن من جانب آخر يذكر أبو المحاسن « وتنكز هذا هو أول من رقاه من مماليكه الى الرتب السنية » (ابن تغرى بردى ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ ، جزء ٩ :

٣٤) وعلى ذلك فلم تكن تلك الملاحظة التي حرص عليها الناصر محمد عند تعيين تنكز نائبا للشام وتوصيته بالتشاور مع اثنين من كبار الأمراء المماليك إلا بدافع من الرغبة في أن يكون تنكز كفوءاً للمنصب الكبير ومسؤ ولياته الجسام اذ كان الناصر محمد على أتم الادراك بأن الخبرة لا تأتي إلا عن طريق الممارسة والاحتكاك ، ومن هنا جاء حرصه على أن يستقي تنكز الخبرة من منبعها السليم .

ويمكننا أن نتبين أهمية المنزلة التي تمتع بها تنكز الحسامي في البلاط الناصري حين نقرأ ما كتبه مؤ رخو العصر المملوكي من أنه « في سنة أربع عشرة وسبعمائة كتب السلطان لنائب حلب وحماه وحمص وطرابلس وصفد بأن أحداً منهم لا يكاتب السلطان وإنما يكاتب الأمير تنكز نائب الشام ، ويكون تنكز هو المكاتب للسلطان في أمرهم ، فشق ذلك على النواب ، وأخذ الأمير سيف الدين بلبان طرنا[٩] نائب صفد ينكر ذلك ، فكاتب فيه تنكز حتى عزل ، واستقر عوضه الأمير بلبان البدري[١٠] وحمل بلبان طرنا مقيداً الى مصر . » (ابن تغرى بردى ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ ، جزء ٩ : ٣٨)

ومن ناحية أخرى اجتهد تنكز الحسامي في القيام بمسؤ وليات وظيفته على أتم وجه ، ولم يكتف بأن ينهض بذلك داخل الشام فقط ،

وإنما عمل ايضا على تأكيد الوجود الإسلامي في منطقة الثغور السورية الشمالية ، ففتح ملطية سنة ٧١٥ هـ / ١٣١٥م[١١] .

ولعله كان في جهاده هذا يريد أن يكون كفأ للنهوض بأعباء المنصب الكبير الذي رقي اليه حيث يقول ابن خلدون :

« عين السلطان الأمير تنكز الحسامي نائبا بدمشق ومشارفا لسائر بلاد الروم ، ففتح ملطية ، ودوخ بلاد الأرمن . وكان يتردد بالوفادة على السلطان يشاوره ، وربما استدعاه للمفاوضة في المهمات ، واستفحل في دفاع التتروكيادهم » . (ابن خلدون ، ١٩٦٥ ، المجلد الخامس ، ق ٤ : ٩٤٨).

وقد كان لنجاحه الكبير هذا في فتح ملطية عميق الأثر في نفس الناصر محمد فبالغ في اكرامه واحترامه ، من ذلك ما يذكره ابن حجر :

« وذلك انه استأذن السلطان في ذلك فأذن له فأظهر انه يريد التوجه الى سيس ، فخرجت العساكر من جميع البلاد معه وخرج هو في زي دست السلطنة بالعصائب والكوسات ومعه القضاة ، فلما وصل الى حماه تلقاه المؤيد فلم يحفل به ولم يأكل طعامه لكونه لم يتلقه من بعد ، فلما وصل الى حلب جرد عسكراً الى ملطية ثم توجه اثره فنازلها الى أن فتحها ورحل بأسرى وغنائم ومال كثير فعظم شأنه وهابه الأمراء والنواب .

قال الصفدي : « سار السيرة الحسنة العادلة بحيث لم تكن له همة في مأكل ولا مشرب ولا ملبس ولا منكح إلا في الفكرة في تأمين الرعايا ، فأمنت السبل في أيامه ورخصت الاسعار ولم يكن أحد في ولايته يتمكن من ظلم أحد ولو كان كافراً وبعد سنة من ولايته زاد الناصر في اقطاع نيابة الشام لما وقع الروك الناصري ، ثم تقدم أمره الى جميع النواب بالبلاد الشامية أن يكاتبوا تنكز بجميع ما كانوا يكاتبون به السلطان وهو يكاتب عنهم ، ولم يزل في علو وارتقاء حتى كان الناصر لا يفعل شيئا إلا بعد مشاورته ، ولم يكتب هو الى السلطان في شيء فيرده فيه إلا نادراً » . (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٥ ـ ٥٦).

كذلك مما يدل على سمو المكانة التي كان يتمتع بها في البلاط الناصري انه بعد استقراره نائباً في دمشق بنى لنفسه فيها جامعاً ، وقد تم تجديد هذا الجامع سنة ٧١٨ هـ / ١٣١٨ م بأمر السلطان الناصر شخصياً . (ابن تغرى بردى ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ ، جزء ٩ : ٥٦ ـ ٥٧)

كما يذكر ابن حجر ان تنكز «حج ٧٢١هـ واقام عنه بيبرس الحاجب نائب غيبة ويقال انه قدم القاهرة بعد حجه فأمر السلطان الامراء أن يهادوه ، فكانت جملة ما قدم له ثمانين الف دينار ». (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٧).

بالاضافة الى ما يذكر المقريزي ضمن حوادث سنة ٧٢٢ هـ / ١٣٢٢ م انه « في يوم الاربعاء تاسع عشر رجب قدم الأمير تنكز نائب الشام باستئذان ، فأنعم عليه السلطان انعامات جليلة بلغت قيمتها نحو ثمانين ألف دينار ، ورسم لسائر الأمراء بحمل تقادمهم اليه ، وأن من أحضر تقدمة يخلع على محضرها من الخزانة السلطانية ، فحملت اليه تقادم جليلة ، منها أربعون سلسلة ما بين ذهب وفضة ، وحمل كريم الدين الكبير تقدمة بعشرة آلاف دينار . وعاد تنكز - بعد اقامته خمسة ايام - على البريد ، في يوم الاثنين رابع عشرة ، ودخل دمشق أول شعبان ». (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٣ : ٢٣٧).

كذلك عندما قدم الأمير تنكز الحسامي الى القاهرة في محرم سنة ٧٣٠ هـ / تشرين الأول - اكتوبر سنة ١٣٣٠م « بالغ السلطان في إكرامه ورفع منزلته على عادته »[١٢] وحينما أراد تنكز مغادرة القاهرة عائداً الى دمشق « أنعم عليه السلطان بمائة الف درهم وكتب له على الأعمال السامية بمائة الف أخرى » (المقريزي ، جزء ٢ : ٣١٣)

ونتيجة لذلك كله يتفق مؤرخو العصر المملوكي على ان تنكز الحسامي استطاع خلال سنوات قليلة ان يصبح أقرب الناس الى قلب الناصر محمد بن قلاون[١٣] .

وفي وصف هذه المنزلة العالية يقول الصفدي :

« وعظم شأنه وهابه الأمراء بدمشق ، والنواب بالشام ، وأمن الرعايا وأهل البر . ولم يكن لأحد جاه ولا حماية في المدينة ، وأقام هذه المدة كلها يعطي الطبلخانات والتقادم والاقطاعات ، والنيابات والوظائف الدينية من قضاء القضاء ، والمدارس الكبار ، والخطابة ، ونظم الجامع والحسبة وأنظار المباشرات الدينية ، ولم يأخذ على ذلك ديناراً ولا درهماً لا هو ولا أحد من بابه ولم يجسر أحد من الأمراء ومن دونهم يظلم ذمياً ولم يزل في علو وارتقاء مكانة في كل سنة الى أن امسك . وأثر في الجامع الأموي كل أثرة حسنة بعدما كان خراباً ، وجدد المدارس وزخرفها ، وعمر أوقافها وجدد القنوات جميعها ، وكان يمشي بنفسه في الليل على الطرق والأسواق ويأمر بتوسعة ما يراه ضيقاً وما يصبح ذلك المكان إلا والصناع تعمل فيه ، وكتب له أخيرا عن السلطان أعز الله انصار المقر الكريم العالي ، وفي جملة الألقاب الأتابكي ، الزاهدي ، العابدي ، وكان السلطان لا يفعل شيئاً من الأمور حتى يشاوره ويأخذ رأيه ويدعو لحياته » . (الصفدي ، مخطوط ٥٨٢٧ ، ورقه ٢٠١ أ - ب)

وعلى ذلك يمكننا أن نلمس من كلام الصفدي علو المكانة التي حظي بها تنكز

الحسامي في بلاط الناصر محمد ، وأن ذلك يعود الى عدد من الأسباب :

١) اخلاص تنكز في القيام بمسؤ وليات وظيفته المدنية والعسكرية خير قيام ، فكان طوال عهده متيقظاً لكل صغيرة وكبيرة ضمن دائرة عمله حيث لم يؤ خذ عليه إهمال قط لأي شأن من الشؤ ون المحلية .

٢) اطمئنان الناصر محمد الى تنكز الحسامي ، ولعل هذا يعود الى أنه كان مملوك الأشرف خليل أخي الناصر محمد ، وحتى عندما انتقل لملكية حسام الدين لاجين كان حريصاً على العمل من أجل خدمة الناصر محمد ، ومن ثم عرف بتنكز الناصري ، كما يبدو أن الناصر محمداً لم ينس وفاء تنكز له عندما كان منفياً في الكرك ، ونتيجة لذلك وثق به واطمئن اليه ، وعندما وجد انه أهل للثقة لم يبخل عليه بالكرم وعلو المنزلة ، والمودة العميقة .

٣) المجهودات الكبيرة التي قام بها تنكز الحسامي في بلاد الشام حيث كان دائم الاحسان الى الرعايا ، كريماً مع المخلصين ، مهتماً في النهوض بمختلف النشاطات الدينية والتعليمية ، منتبهاً للارتقاء بالشؤ ون الإدارية عفيفاً أميناً ، عادلاً في التعامل مع مختلف فئات الشعب من المسلمين والذميين على حد سواء الى جانب عنايته البالغة في عمارة المساجد والمدارس والمرافق العامة ، وفي هذا الموضوع يذكر ابن حجر :

« وعمر بدمشق جامعاً بحكر السماق في غاية الحسن ، وتربة ، ودارا ، وحماما ، ومسجدا ، ومكتبة أيتام ، بجوار امرأته بالخواصين ودار ايوان نحو القليجية وبيمارستان بصفد ، ورباطا وحمامين بالقدس ، وساق الماء ، الى المسجد وقيسارية ، وجدد القنوات بدمشق ، وجدد عامة الزوايا والمدارس والربط ووسع الطرق ، وأصلح الرصيف . . . وفي ولايته أمره الناصر بعمارة قلعة جعبر فاجتهد في ذلك حتى عمرت في أسرع مدة ، وتوجه اليها حتى شاهدها ورتب أمورها » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٧ ، ٦١)

٤) تفاني تنكز الحسامي في عمل كل ما يمكن أن يحقق للمجتمع الشامي الرخاء والاستقرار ، والطمأنينة ، من ذلك على سبيل المثال ـ ما يشير اليه ابن حجر من اعمال تنكز الجيدة في خدمة المجتمع « انه نظر في أوقات المدارس والجوامع والمساجد والخوانق والزوايا والربط فمنع أن يعرف لأحد جامكية حتى يوم شعثها

فعمرت كلها في زمانه أحسن عمارة ، وأمر بكسح الأوساخ التي في مقاسم المياه التي تحلل الدور وفتح منافذها وكانت انسدت فكان الوباء يحصل بدمشق كثيراً بسبب العفونات ، فلما صنع ذلك زال ما كان يعتادهم في كل سنة من كثرة الأمراض ، فكثر الدعاء له وأجرى العين الى بيت المقدس بعد أن كان الماء بها قليلاً ، وأقاموا في عملها سنة ، وبنى لها مصنعاً سعته مائة ذراع ، وأكثر من فكاك الأسرى وأعظم ربح التجار الذين يجلبونهم ، وجمع الكلاب فألقاها في الخندق ، واستراح الناس من أذاهم ، وهدم أماكن كثيرة استجدت في أسواق دمشق ضيقت الطرقات من باب جسر الحديد الى باب الفراديس » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٩).

بالاضافة الى ذلك « هدم أماكن كثيرة كانت استجدت في أسواق دمشق فضاقت بها الطرق فانتفع الناس بذلك (ابن حجر ، جزء ٢ ، ٥٧) وعدم لاصحابها شيء كثير فلم يتجاسر أحد أن ينكر عليه » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٧) وهكذا نجد أن تنكز الحسامي كان مخلصاً في النهوض بأوضاع المجتمع الشامي ، باذلاً من أجل ذلك المال والجهد المتواصل لكي يصبح ذلك المجتمع في صورة تتناسب مع الدخل المالي والنشاط الاقتصادي الذي كانت تحظى به بلاد الشام حينذاك .

الى جانب ذلك يقول العيني ممتدحاً أعمال تنكز « انه أقام في دمشق ثماني وعشرين سنة ، وكان ذا همة ونهضة ومعرفة وسياسة ، عمر بمصر والشام أماكن كثيرة ، وعمر بدمشق جامعاً ظريفا » (العيني ، ١٤٥١ : ورقه ٤٠ ب)

٥) ما تميز به تنكز الحسامي من طيب الخلق ، وحسن معاملة الأفراد دون تفضيل أو تمييز ونصرته الدائمة ؛ للحق حتى ولو كان ضد قوى كبير ، فكان نتيجة لذلك واضحاً في سلوكه، صريحاً في معاملاته ، بعيداً عن الشبه والشك ، الأمر الذي كان له عميق الأثر في نفس الناصر محمد فأولاه ثقته البالغة ؛ واحترامه الزائد.

ويشيد ابن حجر بالخصال الطيبة التي تميز بها تنكز فيقول : « ولم يتفق في طول ولايته انه ولى اميرا ولا نائبا ولا قاضيا ولا حاجبا ، ولا وزيراً ولا كاتباً الى غير ذلك من جليل الوظائف وحقيرها برشوة ، ولا طلب مكافأة ، بل ربما كان يدفع اليه المال الجزيل لأجل ذلك فيرده ، ويمقت صاحبه » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢ : ٥٦) .

٦) تفانى تنكز الحسامي في قيامه بواجبه في ميدان الجهاد الإسلامي ففتح سيس ، وملطية ، وعدداً كبيراً من الثغور الرومية بغية فرض السيطرة الاسلامية ، وتحويل

أهالي هذه المنطقة إلى الاسلام ، فكان يقود المعسكر الشامي بنفسه من أجل خدمة الإسلام كدين ودولة ، وقد تميّزت غزواته بالحماس الكبير مع الرغبة في الاستشهاد ابان تأدية هذا الواجب الديني .

٧) المكانة الكبيرة التي حظي بها تنكز بين كبار الأمراء نتيجة لقيامه بالكثير من جليل الأعمال ، وتفانيه الصادق في خدمة دولة الناصر محمد بن قلاون ، الأمر الذي وفر له أقصى ما يمكن أن يتمتع به أمير من الاحترام والمهابة والتبجيل سواء بين الأمراء الخاصكية في البلاط الناصري ، أو امراء دمشق ، أو نواب الولايات الشامية .

٨) الخصال الكريمة التي اتصف بها تنكز طوال حياته حيث كان كريماً ، مخلصاً متديناً ، الى جانب تكريمه للعلم والعلماء ، وتبجيله للمصلحين المرشدين لمبادىء الشرع الحنيف ، وما تميز به من عدل وحكمة في تعامله مع الرعايا من جميع الطبقات دون تمييز . كما عرف عنه دائماً الأخلاق العالية والمسلك الاصلاحي المثمر مع ما حظي به من السلطة والقوة والثروة ، وفي هذا الموضوع لا يسعنا الا أن نستشهد بقول المؤرخ المعاصر الشجاعي حيث يقول :

« وعلت رمته وانتشر في الشرق والغرب ذكره وعظمته الخلائق لتعظيم السلطان له ونفاذ كلمته عند المهمات والملمات ، وكان في مدة نيابته وطول اقامته حافظا لزمام ـ الملك قامعا لاعداء الشرك سالكاً من الطرائق الحميدة ما يختاره مخدومه لا تأخذه في مصلحة سلطانه لومة لائم . وقد يساوي عنده الغني والفقير ، والخليل والحقير ، والكبير والصغير . القوى عنده وضيع حتى يأخذ الحق منه ، والضعيف رفيع حتى يأخذ الحق له . فحصل له بذلك عند السلطان اليد العظمى والرتبة العليا وحكمه بالشام جميعه تحكيماً لم يحصل لغيره ، ورسم لنواب الأقاليم الكبار مثل نائب حلب وطرابلس وحاجب حماة وعيرهم كي يطالعوه بأحوالهم ، وما يتجدد لهم ، وهو يطالع بها لمولانا السلطان ، وإذا حضرت كتب نواب الأقاليم للسلطان تعرض على الأمير سيف الدين تنكز وهي مفتوحة فيقرأها ويعلم مضمونها ثم يختمها ويكتب للسلطان من عنده كتاباً على نصها ويعرفه بوجهها ويدرجها على كتابه ويرسلها صحبة من حضر بها اليه من جهة النواب ، وكذلك اذا أرسل السلطان لأحد من النواب كتابا يعرض عليه قبل الجواز به يصرم الكتاب من أسفله ، ولا يفك ختمه ويقف عليه ويكتب ايضا بخبره الى من هو موجه اليه من النواب على حسب ما فيه من الأمور ، وكذلك سائر القصاد تكاتبه بالأحوال والأخبار وهو يكاتب السلطان بما يرد عليه ومولانا السلطان يمده بما يتهيأ بالديار المصرية ساعة بساعة ولا يحدث حادث إلا يعرفه به لوقته وحصل له من

مولانا السلطان التبجيل العظيم بحيث انه اذا سأل امراً لا يرد عليه واذا فصل حكماً لا ينكر عليه ، وإذا اشار بأمر فمندوب اليه ومهما شاء فعل بالشام لا يرد بها من أحكامه ولا ينقض ابرامه ، وبلغ من تحكمه بالشام وتعرفه في الأنام الى أن صار يمسك من يختار من الأمراء الكبار المقدمين الألوف والطبلخانات ان خرج عن الطريق أو زاغ عن التحقيق ضربه الضرب الشافي وأخذ سيفه واعتقله بغير مرسوم ويرسل يعرف السلطان بما صنع ذلك الأمير وانه اعتقله بهذا الذنب الحقير فلا ينكر عليه في شيء من ذلك ويعود بالجواب اليه بالشكر له على ذلك وتسديد رأيه وانه المتصرف فيما يختاره ويودع ذلك الأمير الاعتقال وفعل ذلك بأمراء كبار مثل الأمير سيف الدين جوبان[١٤] والأمير بدر الدين بكتوت القرماني[١٥] والأمير سيف الدين بهارد البدري[١٦] نائب الكرك كان وعده امرا فكبرت نفسه عليه وتعاظم على نظرائه . » (الشجاعي ، مخطوط ، ٩٨٣٣، ورقة ٥٥أ ـ ٥٦أ)

وهكذا استطاع تنكز الحسامي عن طريق العمل المتواصل ، والتفاني في الإخلاص للناصر محمد والاجتهاد في خدمة الدولة والاهتمام البالغ في القيام بكافة مسؤ ولياتها أن يصل الى هذه الرتبة العالية في البلاط السلطاني ، بل يمكننا أن نتصور انه أصبح الحاكم بأمره في بلاد الشام كلها بكافة أقاليمها وولاياتها حيث أطلق الناصر محمد يده في إدارة مختلف شؤ ونها السياسية والعسكرية والمدنية وخضع له نواب الولايات الشامية خضوعاً مطلقاً ، ودانوا له بالطاعة والولاء .

ويمكننا القول ان بلاد الشام أصبحت في نيابة تنكز الحسامي ولاية مستقلة بوضعها الاداري حيث حكم تنكز هذه الولاية بسلطة مطلقة ، وصلاحيات واسعة في الإدارة والحكم والعلاقات الداخلية مع بقية الولايات الشامية ، فأحسن تنكز استغلال هذه السلطات غير المحدودة الى أقصى درجة حتى غدت بلاد الشام في السنوات العشر الأخيرة من نيابته ولاية قائمة بذاتها من كافة النواحي الاجتماعية والعسكرية والإقتصادية والإدارية ، ولا يربطها بالحكومة المركزية في البلاط الناصري سوى روابط التبعية الرسمية والولاء الصادق ، وهذا وحده يكفي إذا ما عرفنا طبيعة شخصية تنكز الحسامي وحرصه البالغ على خدمة هذه الولاية طالما كانت هذه الخدمة تؤدي في النهاية إلى تدعيم كافة صلاحيات الحكم والسلطة لدى الناصر محمد . ولعل ادراك الناصر محمد لوجود هذا الحرص الصادق عند تنكز من أجل تأكيد سلطانه من أهم الأسباب التي أدت الى توثيق الروابط بينهما لما فيه مصلحة الهدف المشترك .

ويؤكد الصفدي ما اشتهر عن نائب الشام تنكز الحسامي من تمسك بالأخلاق النبيلة ، والهمة العالية ، والنوايا المخلصة ، حيث يظهر هذا واضحا فيما يرويه عنه معاصروه من ذلك قوله :

« ذكر لي ناصر الدين دواداره فيما بعد موته ، وقد كان عزله ، وضربه بالمقارع ،

وأخذ منه للسلطان ثمانية عشر ألف دينار غير ما أخذ لنفسه قال : ما أقول إلا الحق ما رأيته قط يغفل عن نفسه ، وما كأنه الا واقف بين يدي ربه عز وجل ، وقال لي « ما كان يخل بقيام الليل ، وما صلى صلاة قط إلا بوضوء جديد ، ومنذ كان في الطباق والى آخر وقت ما أمسك بيده ميزاناً » انتهى ؛ ورأيت منه شيئاً ما رأيته من غيره وهو أنه كان له كاتب مفرد للزكوة لا يعمل غير هذه الوظيفة ، إذا حال الحول على شيء من حواصله عمل ما يجب على ذلك من الزكوة وقرأه عليه فيرسم بصرفه ، وعمر الجامع والتربة الى جانبه بحكر السماق ، والتربة لزوجته بجوار الخواصين ، وعمر البيمارستان بصفد ، وكانت عمائره وأملاكه بالشام جميعه ، وبمصر وبالقدس شيئاً كبيراً » . (الصفدي ، مخطوط ، ٥٨٢٧ : ورقة ٢٠٣أ ـ ب)

كذلك يقول ابن حجر : « وكان يدور بنفسه بالليل مختفياً ، ويشير بما يراه فما يصبح ذلك المكان الا والصناع تعمل فيه » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء ٢: ٥٧) ومن ناحية أخرى « كان الناس في ولايته آمنين على أنفسهم وحريمهم وأولادهم وأموالهم ووظائفهم » . (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٧) بالاضافة الى أنه « كان مثابراً على عمل الحق ونصر الشرع » (ابن حجر ، جزء ٢ ، ٥٨) الى جانب قوله : « أي لذة للحاكم اذا كانت رعاياه يدعون عليه ، وما كان يخلو ليلة من قيام لصلاة ودعاء وما صلى غالباً إلا بوضوء جديد ، حفظ عنه انه لم يمسك بيده ميزانا قط منذ كان في الطباق الى آخر عمره ، وكان يعظم أهل العلم ، واذا كان عنده منهم أحد لم يسند ظهره ، بل ينفتل ويقبل بوجهه اليه ويؤنسه بالقول والفعل ، وكان سليم الباطن ليس عنده دهاء ولا مكر ، ولا يصبر على الأذى ولا يداري أحداً من الأمراء » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٨)

ويؤكد المقريزي ما ذكره الصفدي حول سياسته في بلاد الشام وحرصه على العمارة والاصلاح فيقول :

« وكان تنكز رحمه الله في نيابة دمشق قد أزال المظالم وأقام منار الشرع وأمر بالمعروف ، ونهى عن المنكر ، وأزال ما كان بدمشق وأعمالها من الفواحش والخانات والخمارات ، وبالغ في العقوبة على ذلك حتى قتل فيه . وأنصف العامة والتجار بخلاص حقوقهم من الأمراء ، وحملهم مع أخصامهم الى الشرع . واحتجب عن الاجتماع بالشاميين وغيرهم ، وامتنع من قبول التقادم والهدايا جملة . وتتبع المدارس والمساجد والأوقاف فعمرها جميعها ، ومنع مستحقيها من تناول ريعها حتى كملت عمارتها . وجدد عدة أماكن قد دثرت أوقافها ، وأعاد فيها وظائف العبادات بعد ما بطلت . وجدد عمارة الجامع الأموي وعمر أوقافه وأصلح تقاسيم المياه بعدما كانت فاسدة . ونظف مجاريها ووضح طرقها وهدم الأملاك التي استجدها الناس وضيقوا بها الشوارع والطرق المسلوكة ، وألزم والي المدينة أن يعلمه بمن يشرب الخمر من الأمراء وأولادهم ، فتعذر وجود الخمر في أيامه ، ولم يكن يوجد . واستجد ديواناً للزكاة وصرفها للفقراء والمساكين وأرباب البيوت ، وانكفت الولاة في أيامه عن

الظلم ، وأحبته العامة ، ومنع الأمراء من تسخير الفلاحين والمزارعين في اعمالهم ومنعهم أيضاً من الاجتماع في الفرح والمتنزهات وغيرها ، فصاروا اذا ركبوا في المواكب لا يقدر أحد منهم أن يكلم رفيقه ، واذا صاروا الى بيوتهم لا يستطيع الواحد أن يجتمع بالآخر وإذا خرج تنكز الى سفر لا يتأخر منهم أحد سواء قال له اخرج أ ولم يقل له . ومنع أكابر الأمراء أن تترجل له أو تمشي في خدمته ، فأقام الله له من الحرمة ما لا حصل لأحد من نواب الدولة التركية . وكتب لنواب البلاد الشامية ألا يكاتبوا السلطان الا ويكاتبوه ، وأن ترد مكاتباتهم للسلطان عليه بغير ختم ليقف عليها ، فان أرضته بعث بها الى السلطان والا ردها ». (المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٣ : ٥٠٩ ـ ٥١١)

أما أبو المحاسن فيقول عن تنكز الحسامي انه « هو الذي عمر بلاد دمشق ومهد نواحيها ، وأقام شعائر المساجد بها بعد التتار » . (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ ، ١٩٢٩ ـ ٥٦ : ١٥٣) وهذا يدل على أن تنكز كان رجلاً مؤمناً متديناً حريصاً على العمل وفق مبادىء الشرع الحنيف .

وقد كان لهذا كله أثر كبير في تمتع تنكز الحسامي بتلك المكانة الرفيعة التي حباه بها المجتمع الشامي ، من ذلك انه لما « أخذ رق له كثير من الرعية وحزنوا له قال (الذهبي) : وكان سياجاً على دمشق والناس به في أمن ، والظلمة كافون ، والرعية في عافية من المصادرة والعسف ». (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء٢ : ٦١)

كما يذكر الصفدى وهو يصف حال المجتمع الدمشقي بعد القبض على تنكز الحسامي الذي كان « وكأنه برق تألق ثم انطوى وكأنه لم يلمع ، فيا رزية حلت بأهل دمشق ، لقد تأسفوا عليه ، ويا طول اسفهم ». (الصفدي ، مخطوط ، ٥٨٢٧ : ورقه ٢٠٤ أ)

ولا شك ان هذا كله يدل دلالة واضحة على شعبيته بين أهالي الشام لما عرفوه من تدينه وتواضعه ومحبته للحق وانتهاجه للعدل والمساواة ، الى جانب ما تميزت به علاقته بالناس من الوضوح والصراحة والأمانة ، فلم ينافق أميراً لأنه كبير ، ولم يذل فقيراً لأنه صغير ، وإنما كان أشد ما يكون حرصاً على أن يكون للجميع في نيابته ما يتوقون اليه من الراحة الاجتماعية والاطمئنان النفسي .

وبالتالي أصبحت بلاد الشام وكأنها ولاية مستقلة بأمورها في ظل الحكم المطلق الذي تمتع به نائبها الأمير تنكز الحسامي إبّان الفترة الثالثة لحكم الناصر محمد بن قلاون .

بالاضافة الى ذلك حصل تنكز الحسامي على سلطة الاطلاع والتدخل في طبيعة العلاقات القائمة بين الناصر محمد ونواب الولايات الشامية بحيث لا يمكن أن يصدر أمر دون مشاورته ، أو يرجع في قرار دون مراجعته والأخذ برأيه ، مما يدل على مدى الصلاحيات التي تجمعت في يده طوال ثمان وعشرين سنة دون منافس أو معوقات . اضافة الى ذلك اصبح له كل الحق في القبض على من يريد من الأمراء في الشام واطلاق سراح المعتقل منهم دون أن يخشى معارضة

السلطان الناصر محمد أو رفضه لهذا الأمر أو ذاك ، وهذا كله ينبيء عن الثقة المطلقة التي كان الناصر محمد يحملها له الى جانب ما كان يكنه له من المعزة والاحترام .

وفي الحقيقة اننا نجد أنفسنا في دهشة من هذه السلطة غير المحدودة التي تمتع بها الأمير تنكز الحسامي خاصة اذا ما علمنا أن السلام والاستقرار كان يسود الحياة السياسية ابان هذا العهد الثالث في حكم الناصر محمد حيث أمكن تنظيم الجهاز الاداري بشكل دقيق ومتناسق ، وتثبيت نظام الحكم على أساس متين وركائز ثابتة تعتمد بشكل رئيسي على تحقيق مبدأي المركزية المطلقة للحاكم ، والعدالة الاجتماعية للشعب بمختلف طبقاته ..

ويؤكد مؤرخو العصر المملوكي بشكل قاطع لا يدع سبيلاً للشك أن الترحيب السلطاني بزيارات تنكز الحسامي للبلاط الناصري كان يزداد بمرور السنوات حيث كان نائب الشام يحظى في كل مرة يقدم فيها الى القاهرة بترحيب أعمق ووفادة أكبر ، وكرم أوفر مما حظى به في الزيارة السابقة.[١٧]

وفي الحديث عن زيارات تنكز الحسامي الى البلاط الناصري ، وما كان يحصل عليه أثناء ذلك من حسن الوفادة وعظيم الكرم يذكر ابن حجر :

« وكان يتردد على القاهرة باذن السلطان فيبالغ في اكرامه واحترامه حتى قال مرة : « الذي خص تنكز في ٧٣٣ خاصة مبلغ الف الف . وخمسين الفا خارجا في الخيل والسروج ».[١٨]

كذلك تجدر الاشارة الى أن الناصر محمداً كان حريصاً على دعوة تنكز الحسامي لزيارة القاهرة في مختلف المناسبات حيث يقول ابن تغرى بردى :

« ثم حضر بعد ذلك تنكز نائب الشام الى القاهرة ليحضر عرس ابن السلطان الأمير آنوك[١٩] وشرع السلطان في عمل المهم من اوائل شعبان (٧٣٢هـ) ، وجمع السلطان من بالقاهرة ومصر من أرباب الملاهي ، واستمر المهم سبعة ايام بلياليها ، واستدعى حريم الأمراء للمهم فلما كانت ليلة السابع منه حضر السلطان على باب القصر ، وتقدم الأمراء على قدر مراتبهم واحد بعد واحد ومعهم الشموع . . . » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ ، ١٩٢٩ - ١٩٥٦ : ١٠١) وكان معهم تنكز الحسامي ، فلما كان الغد « خلع على الأمير تنكز نائب الشام ، وجهز صحبته الخلع لامراء دمشق ». (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٠٢)

ويمكن القول انه بلغ من تقدير السلطان الناصر محمد لتنكز ان تزوج ابنته الأمر الذي رفع من مكانة تنكز في البلاط السلطاني حيث يقول الشجاعي :

« وزاد السلطان في اكرامه وتزوج السلطان ابنته وعلت بذلك حرمته وارتفعت درجته وهو يزيد في تعاظمه على الأمراء وتردد على الأبواب عدة مرات ويحصل له في كل مرة انعام وتعظيم اعظم من المرة الأولى » (الشجاعي ، مخطوط، ٩٨٣٣ : ورقه ٥٦ أ)

ويؤكد ابن حجر هذه المكانة العالية بقوله :

« قال الأمير سيف الدين قرمشي ، قال لي السلطان مرة : « لي مدة طويلة أطلب من الناس شيئا لا يفهمونه عني ، وما مر شيء أدلك يمنعني أن أصرح به ، وهو اني لا أقضي لأحد حاجة الا على لسان تنكز ، ودعا له بطول العمر » قال : « فبلغت ذلك له » فقال : « بل أموت انا في حياة السلطان » . فبلغها السلطان فقال : « لا قل له أنت اذا عشت بعدي نفعتني في أولادي وأهلي وأنت اذا مت قبلي ايش اعمل انا مع أولادك أكثر مما عملت ها هم امراء في حياتك » (ابن حجر ، ١٩٦٦ ، جزء٢ : ٥٧)

اذن فقد شمل عطف الناصر محمد اولاد تنكز ايضاً ، فأمرهم ، وتمتعوا بالمنزلة العالية في البلاط الناصري مما يبرهن على عمق المودة التي كان الناصر محمد يحملها لتنكز الحسامي في نفسه ، فأغدق عليه الثروة والألقاب والمناصب بغير حدود الأمر الذي أثار دهشة المؤرخين المعاصرين ، فيذكر الصفدي الذي كان ملازماً لتنكز الحسامي كان « يسافر ومعه حريمه ، وكان اخيراً يتوجه في كل سنة الى باب السلطان ويعود أعظم مما جاء وبلغ انعامه عليه (سنة ٧٣٣ هـ) مائة الف الف وخمسين الف درهم ، حكاه لي القاضي شرف الدين النشو ناظر الخاص هذا الذي من الخزانة وأما الخيول المسومة المثمنة ، فتلك من الاسطبلات وهي شيء كثير ، هذا خارجاً عن الانعام الذي يأخذه من دمشق من العين والغلة والانعام وهو ما يقارب اربع مائة ألف درهم ، وكان كل سنة يضاعف انعامه ، وكانت الخلع التي يلبسها شيئاً كثيراً ، قال القاضي شرف الدين النشو : « كان القباء الذي يلبسه في الآخر يقوم على السلطان بألفي دينار مصرية وكان من جملة الانعام طبلباز ذهبا صرفا » .[٢٠]

ولعل التفسير الوحيد لهذه الخطوة التي توفرت لتنكز الحسامي في البلاط الناصري دون غيره من أقرانه من كبار الأمراء هو طبيعة شخصية تنكز الفريدة بما انطوت عليه من رغبة في العمل باخلاص ووضوح صريحين . الى جانب نشاطه اللامحدود في بذل الجهود الكبيرة في خدمة الصالح العام لسلطنة المماليك دون تهاون أو تقاعس .

ويؤكد المؤرخ المعاصر ابن ايبك الدواداري ما كان الناصر محمد يكنه لتنكز الحسامي في نفسه من مشاعر الود والتقدير ، من ذلك قوله :

« حضر الأمير سيف الدين تنكز الى الأبواب العالية يوم الخميس ثامن عشر جمادى الأولى (٧٣٤ هـ) ، وطلع الى القلعة المحروسة والأمراء في الموكب ، ودخل الى بين يدي المواقف الشريفة قبل دخول الأمراء (الدواداري ، ١٩٧١ ، جزء ٩ : ٣٨٠) وقد رحب به السلطان الناصر محمد وأكرمه ، وأغدق عليه الهدايا الثمينة ، كما عمل على زيارة ابنته زوجة السلطان الناصر محمد ، وظل الى أن سافر في أحسن مقام » (الدواداري ، جزء ٩ : ٣٨١)

ويحدد المقريزي مجموع ما حصل عليه تنكز الحسامي من انعامات الناصر محمد « بمائة الف درهم » . (المقريزي، جزء ٢ ،

١٩٣٣ : ٣٧١)

ويضيف إلى ذلك ما حظي به تنكز من تعظيم وتبجيل الناصر محمد له في سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م عندما كتب السلطان « الى الأمير تنكز نائب الشام ان يحضر بأولاده واهله لعمل عرس الأمير ابي بكر ابن السلطان على ابنة الأمير طقزتمر ، واحتفل السلطان لقدومه احتفالا زائداً . وكانت عادته أن يصرف عليه اذا قدم مبلغ خمسين الف دينار ما بين خلع وانعام ، فرسم أن يكون في هذه السنة مبلغ سبعين الف دينار ، ثم خرج السلطان لملاقاته ، ونزل قصور سرياقوس حتى سقط الطائر بنزول الأمير تنكز الى الصالحية ، فركب الأمير قوصون الى لقائه ، وصحبته جميع ما يليق به من الأطعمة والمشروب ، فلما لقيه مد بين يديه سماطاً جليلاً الى الغاية ، وأقبل به حتى دنا من سرياقوس . فركب السلطان اليه ومعه أولاده ، وقدم اليه الحاجب ليخبره بأنه لا يترجل عن فرسه حتى يرسم له ، وتقدمت أولاد السلطان اليه أولا . فلما قرب تنكز ، نزل السلطان عن فرسه الى الأرض على حين غفلة من الأمراء ، فألقوا أنفسهم جميعاً عن خيولهم ، وألقى تنكز نفسه الى الأرض ، وعدا في مشيه جهد قدرته ، وهو يقبل الأرض ويقوم الى أن قبل رجلي السلطان ، وقد دهش فقال له السلطان : « اركب فرسك » وركب السلطان والأمراء وسايره وهو يحادثه ، فلم يسمع عن ملك انه فعل مع مملوكه من التعظيم ما فعله السلطان في هذا اليوم مع الأمير تنكز . وكان العرس يوم الاثنين سلخ صفر والدخول ليلة الثلاثاء اول ربيع الأول »[٢١] .

ومن ناحية ثانية كان تنكز الحسامي حريصا على تكريم السلطان الناصر محمد وأمراء مصر في كل زيارة يقدم فيها البلاط السلطاني في القاهرة ، فيذكر ابن حجر « وقدم في سنة ٧٣٩ فكانت قيمة تقادمه للسلطان والأمراء مائتي الف دينار وعشرين الف دينار »[٢٢] .

ويشير ابو المحاسن الى هذا التكريم الذي خص به تنكز الحسامي الناصر محمداً عندما زار القاهرة سنة ٧٣٩ هـ / ١٣٣٨ م فيقول : « وقدم تنكز في هذه المرة للسلطان تقدمة عظيمة تجل عن الوصف ، فيها من صنف الجوهر فقط ما قيمته ثلاثون الف دينار ، ومن الزركش عشرون الف دينار ، ومن أواني البلور وتعابي القماش والخيل والسروج والجمال البختاني ما قيمته مائتان وعشرون الف دينار مصرية ».[٢٣]

كما كان متيقظاً دائماً الى أهمية تكريم كبار النواب والأمراء في الولايات الشامية.
(المقريزي ، جزء ٢ ، ١٩٣٣ : ٤٦٧)

ويلفت نظرنا بشكل غير عادي حرص نائب الشام تنكز الحسامي على أن يكون ذا سلطة مطلقة في حكم بلاد الشام ، بل وصاحب اليد العليا في توجيه نواب ولاياتها وأقاليمها فلا يقدموا على أمر دون مراجعته ، ولا يبتوا في شيء من غير مشاورته ويتجلى هذا واضحاً من بين ما يذكره المقريزي من حوادث سنة ٧٣٦ هـ / ١٣٣٦ م :

« وفيها قدم كتاب الأمير تنكز نائب الشام يشكو من الأمير ايتمش نائب صفد ،[٢٤] من أجل انه ما يمتثل أمره ، ويستبد بغير مراجعته ، فأجيب بمراعاته واكرامه . فلم تطل مدة ايتمش بعد ذلك سوى اثنين وثلاثين يوماً ومات فخلع على الأمير طشتمر الساقي ، واستقر في نيابة صفد ، وزيد على اقطاع النيابة ، وأنعم على ولديه بإمرتين » . (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٠٢ - ٤٠٣)

وفي هذا دلالة واضحة على تمتع تنكز الحسامي وأولاده بمنزلة رفيعة في البلاط الناصري حيث كان الناصر محمد يغدق عليهم بالهدايا والألقاب والاقطاعات .

كذلك يقول المقريزي ضمن حوادث سنة ٧٣٨هـ / ١٣٣٧ م :

« وفيها أنعم السلطان على الأمير تنكز نائب الشام بثلاث ضياع من فتوح سيس ، وهي قلعة كوارة ، وقلعة نجيمة ، وقلعة سرفندكار ، ورسم ان يحمل اليها من حماة وحمص وطرابلس عشرون الف غرارة غلة برسم تقاويها وتخضيرها ، وعين لكل ضيعة ما يكفيها ، وكتبت مراسيم لكل جهة بما هو مقرر عليها » . (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٣٦)

ويروى ابو المحاسن انه اجلالاً واكراما لتنكز الحسامي تم عزل الطنبغا نائب حلب من منصبه هذا ، وعوضه عنه بنيابة غزة . (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٢٩)

وفي هذا كله تأكيد لعدد من الملاحظات التي تميز بها حكم تنكز لبلاد الشام :

١) النفوذ السياسي الكبير الذي حصل عليه تنكز طوال فترة نيابته في بلاد الشام .

٢) حرص تنكز الحسامي على فرض سلطانه على النواب الآخرين في الولايات الشامية مثل حلب وحماة وغزة وصفد وغيرها .

٣) اتساع المنطقة التي حكمها تنكز بتفويض رسمي من الناصر محمد حتى امتد نفوذه شمالا الى سيس وملطية والقلاع الرومية والارمينية فتحولت هذه المناطق الى اقطاعات زراعية تدر الانتاج الوفير ، وتكون بالتالي مورداً اقتصادياً من موارد الدخل في بلاد الشام.

٤)طموح تنكز الحسامي ليكون الحاكم الأعلى في الشام دون أدنى منافسة من أي نائب أو أمير ، كما كان حريصاً أن يأخذ بهذا الحكم المطلق تفويضاً سلطانياً رسمياً يعطيه حقوقاً مطلقة في ادارة شؤون البلاد دون منازع .

ومن ثم استمر تنكز الحسامي في ارتقاء متزايد مع التأكيد المضطرد لمكانته الرفيعة في البلاط الناصري ، والتمتع بمظاهر الرخاء والرفاهية الى حد حسده عليه الأمراء الآخرون ، ويبدو ان هذه الحضارة المتزايدة قد لفتت انظار المؤرخين المعاصرين لتلك الحقبة ، فيذكر ابن شاكر الكتبي معقبا على استقبال الناصر محمد لتنكز الحسامي حينما زار القاهرة في رجب سنة ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م : « وزاد في اكرامه بخلاف العادة » (ابن شاكر ، مخطوط ، ٢٩٢٣ : ورقه ١٦أ) ، وانه « في سابع عشر ربيع الأول (٧٣٨ هـ)

وصل البريد من الديار المصرية ، وأخبر أن السلطان جاءه ولد ذكر من بنت الأمير سيف الدين تنكز نائب دمشق وسماه اصلح ، فدقت البشائر وزينوا دمشق باطنها وظاهرها وتناهوا في الزينة » ، (ابن شاكر ، مخطوط ، ورقه ٢٦أ) ومن جانب آخر نلاحظ أن السلطان الناصر محمداً كان مسروراً بقدوم هذا المولود فعمل لها « بشخاناة ، ودایر بيت زركش ، وتكملة البذلة من المخدات والمقاعد بمائتي ألف دينار وأربعين الف دينار ، وعمل لها الفرح سبعة ايام » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١١٩)

كما تعتبر زيارة الأمير تنكز الحسامي الى القاهرة سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م[٢٥] مثالا لأقصى ما يمكن أن يحصل عليه أي شخص في البلاط السلطاني من الحفاوة الشاملة والتكريم البالغ ، الأمر الذي جعل مؤرخي العصر المملوكي يكتبون باسهاب ودون ملل عن هذه المظاهر غير العادية ، من ذلك ما يقوله المؤرخ المعاصر الصفدي من أن تنكز الحسامي « توجه الى باب السلطان كان ذلك سنة (٧٣٩هـ) وهي آخر سفرة توجه اليه ، وكنت أنا صحبة ركابه وخرج السلطان ال بير البيضاء ، وتلقاه بأولاده وأمرائه وتوجه وهو إلى جانبه وأنزله في قصر بكتمر الساقي[٢٦] بسرياقوس ، وأما قوصون ، فانه تلقاه الى الصالحية ، وتوجه قرمشي في البريد ، وعاد من قاقون الى أن وصل الى مصر أربع مرات ، وجهّز اليه في الرمل خلعا وخيلاً ، وأكل من حضر معه وكل يوم يصل اليه وهو في الرمل انعامات وتشاريف ، ومراكيب كاملة العدد ، وأما الانعامات التي في باب السلطان فكانت أمراً زائداً عن الوصف، . . . . . .

. . . . . .

وكان الأمير سيف الدين آقبغا عبد الواحد[٢٧] يسير مع طلب نائب الشام حتى لا يضايقه احد في المعادي ، ولا في الجسور ، ولقد رأيته بعيني يوماً وهو واقف مع الأمراء المشالح مثل اصلم[٢٨] والجاولي[٢٩] والخطيري[٣٠] وغيرهم واذا بمملوك سائق من البرية حتى وصل اليه ، وقال له : هذا السلطان واصل اليكم فلا تترك يا أمير يعني نائب الشام ، فما كان بعد قليل حتى أقبل السلطان ، وقدامه خمسة أمراء وهم الخاصكية ذلك الزمان ، ملكتمر الحجازي[٣١] ويلبغا اليحياوي[٣٢] والطنبغا المارداني[٣٣] واقسنقر[٣٤] وآخر نسيته ، وعلى يد كل واحد منهم سنقر فقال له لما وصل : يا أمير انا أمير شكارك ، وهؤلاء بازداريتك ، وهذه السناقر اذا رحت الى الشام اشيعهم اليك تفرح بهم ، وأراد (تنكز) النزول ليبوس الأرض فمنعه »[٣٥] .

ويشرح المؤرخ المعاصر ايضا الشجاعي تفاصيل هذه الزيارة تحت عنوان : « ذكر حضور تنكز نائب الشام بمصر ، وما اتفق له » كان السبب لحضوره في هذه النوبة فان بنته كانت زوجة السلطان وهي حامل وقربت ولادتها وعمل السلطان لها من الزراكش شيء كثير من جملتها بسجاية ودایر بيت بمائة الف دينار وستور أبواب ومقاعد وغيره بجملة مستكثرة وأرسل طلبه يحضر هو وأولاده لمهم ابنته فتجهز تنكز وعبر لمصر هو وولديه ، ولما قرب حضوره ارسل اليه الأمير قوصون يلاقيه من السعيدية وعمل له سماطا عظيما وحضر صحبته وخرج السلطان لسرياقوس ينتظر

قدومه ، ولما علم بحضوره ركب وخرج من سرياقوس يلاقيه وسير أولاده سبقوه يلاقون تنكز فلما قرب نزل السلطان بجانب الطريق وقعد على توب سرج وأرسل الى قوصون يقول له لا تخلى نائب الشام ينزل عن فرسه حتى ارسل أقول له ، فمشى الى أن قرب من السلطان وسائر المماليك والأمراء ماشيين في خدمته ، فنزل قوصون ومشى في ركابه الى ان قرب جداً فامر له السلطان بالنزول ، فنزل تنكز عن فرسه ماشيا للسلطان فقام السلطان ومشى اليه ، لاقاه ماشياً فقبل تنكز الارض ورمى روحه على اقدام السلطان فعانقه السلطان وأخذه ورجع قعد هو واياه على التوب السرج وقال له : الحمد لله على السلامة وركب هو واياه من على التوب السرج ومشى الى جانبه الى ان عبر قصر سرياقوس وباتو تلك الليلة ، وطلع باكر النهار ثاني عشر جمادي الأولى القلعة ، فعبر به هو وأولاده الى الدور ، فنظر تنكز تلك النعمة والستور المزركشة فانذهل لما رأى وقبل العتبة ، وجاءت ابنته قبلت يده ، وأحضر السلطان سائر بناته واحدة بعد واحدة ، ويقول السلطان لكل واحدة منهم بوسي يد عمك فتبوس يده ، وآخر بناته قال يا أمير هادي وهادي يكونوا أزواج ولديك ، فباس الأرض وخرج هو واياه وأخلع عليه وعلى كل من حضر صحبته ، وأصبح ثاني نهار حضوره قعد هو واياه والأمراء وقوف في الخدمة والطنبغا نائب حلب من جملة الأمراء واقف فقال السلطان لتنكز : يا أمير قد سمعت ما أشرت به ، وأعزلت الطنبغا عن حلب وجلبته بمصر فباس الأرض وقال : يا خوند ما سعد أحد سعادة الطنبغا كنت أود أن أكون في خدمتك مثله وانا بفرد عين انظر بها السلطان وأصابح وجه أسيادي وأماسيه فلما سمع السلطان ذلك منه علم انه لم يهن عليه اقامة الطنبغا بمصر فطلب للوقت والساعة الأمير مسعود الحاجب[٣٦] وقال له : قول للطنبغا يخرج الى نيابة غزة وولاه غزة في نهاره ثالث عشر جمادي الأولى وخرج صحبته بتقليده الأمير برسبغا الحاجب وانعم بالتقدمة التي كانت لطرغية[٣٧] وأخذها الطنبغا ونزل تنكز الى بيته الذي كان للأمير اينك البغدادي بالكافوري واشتروه له فجهز ما حضر صحبته من التقادم للسلطان والأمراء والدون ، وأرسل لكل منهم ما يليق به ، وكان تقدير ثمن ما حضر معه من الهدايا والتحف ما ينيف عن مائتي الف دينار وعرف السلطان ان الأمير كجكن[٣٨] أحد مقدمي الألوف بدمشق كبر سنه وضعف عقله فرسم بقطع امرته ، وأنعم بامرته وتقدمته لولد تنكز ورسم لابن كجكن بامرة طبلخاناة بدمشق وسأل تنكز ان يكون امير سنجرين اقطوان احد الزامه امرة فرسم له بطبلخاناة بدمشق وحجوبية ، وسأل ان ينقل بيبرس الحاجب[٣٩] من حلب لدمشق فرسم بامرة بدمشق وما طلب شيء الا وأجيب اليه وركب قرمشي بالامرة بمصر في سادس عشر جمادي الأولى وركب صحبته الأمير خليل بن خاص ترك[٤٠] وابن البدوي الذي كان أبوه نائب حمص ، وخرج السلطان للصيد ببلاد الصعيد وأخذ تنكز صحبته وأكرمه في هذه السفرة اكراما ما اتفق لأحد قبله وصغر السلطان نفسه معه بحيث انه خرج عن الحد ، ومن جملة ذلك انه كان لتنكز مملوك

مشغوفا به يسمى جيعبه فكان السلطان يعطيه سنقرا من يده يعبر يرميه في وسط الحلقة والسلطان وتنكز يساير انه ، ولما عاد السلطان من الصيد عقد محمد وأحمد أولاد تنكز على بناته في ثاني عشرين جمادي الآخرة ورسم للنشوا ان يحمل المهر من الخزانة وأن يجهز نائب الشام في الذهب وباقي القماش فنزل النشو وطلب سائر تجار المدينة وأقلب عاليها سافلها ونهب الخلق ، وأخذ اموال الناس وطلع به ، وبعد ذلك كانت ولادة بنت تنكز وجابت بنت وجاء الخادم بشر السلطان وتنكز جالس عنده فقام تنكز وسجد شكرا لله تعالى قال السلطان خير يا أمير قال والله ياخوند كنت أتمنى أن يكون المولود انثى ، فانها لو وضعت ولداً ذكراً كنت أخشى كمال السعادة ، وان السلطان تصدق علي في هذا المهم وجبرني بالسعادة ، فخشيت من كمالها ، وأنعم السلطان عليه بشيء وجهّزه وسفره وكانت اقامته بمصر نحو الشهرين وكان راتبه كل يوم أربعة آلاف درهم نقرة وحصل لتنكز من السلطان من الاقبال في هذه السفرة ما لا سمع بمثله ورسم لكاتب السر أن يكون مكاتبه المقر العالي ، ولم يجر هذا لغيره وأخلع السلطان عليه خلعة السفر وخرج من مصر على البريد في سابع عشرين جمادي الآخرة ، وخرج أكابر الأمراء لوداعه والحجاب وقوصون في خدمته ، وكان آخر سعده »[٤١] .

ويضيف المقريزي على ذلك كله فيقول:

« وأخذ السلطان مع النشو في تجهيز تنكز على عادته ، وأمر أن يضاعف له ما جرت به عادته من الخيل والتعابي ، ورتب السلطان ذلك بنفسه ، فكانت قيمته مائة وخمسين الف دينار عينا ، . . . . . ، وأنعم السلطان على مغنية قدمت معه من دمشق بعشرة آلاف درهم ، وحصل لها من الدور ثلاث بدلات زركش وثلاثون تعبية قماش ، وأربع بدلات مقانع ، وخمسمائة دينار فبلغ متحصلها نحو سبعين ألف درهم ، ثم كان آخر ما قال له السلطان : « ايش بقي لك حاجة؟ او في نفسك شيء اقضيه قبل سفرك؟ ، فقبل تنكز الأرض ، وقال : « والله يا خوند ! ما بقي في نفسي شيء اطلبه إلا أن أموت في ايامك » ، فقال السلطان : « لا ان شاء الله يا أمير تعيش انت وأكون أنا فداك ، أو أكون بعدك بقليل » فقبل تنكز الأرض وانصرف ، وقد حسده جميع الأمراء ، وكثر حديثهم فيما حصل له من الكرامة والمعزة . واتفق ما قاله السلطان فانه لم يقم بعد موت تنكز الا قليلا . » (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٦٢)

بالاضافة الى كل ذلك يقول المقريزي انه في سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م استقبل الناصر محمد تنكز الحسامي بالحفاوة البالغة والكرم الزائد من ذلك أن السلطان تقدم :

« الى النشو بتجهيز تنكز الى الصعيد للصيد ، ثم ركب وتوجه الى بلاد الصعيد وتنكز معه ، فكان من اكرامه له في هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله . لما عاد السلطان امر النشو بتجهيز كلفة عقد ابني تنكز على ابنتيه ، وكلفة سفر تنكز الى الشام ، فأخذ النشو اموال التجار وغيرهم ، وجمع أربعة عشر ألف دينار ، حصل منها برسم المهر اربعة آلاف دينار ، وجهز الامير تنكز

باثني عشر الف دينار . وعقد لولدي تنكز على ابنتي السلطان في بيت الأمير قوصون ، بحضرة القضاة والأمراء »[٤٢] .

وقبل قدوم تنكز في هذه الزيارة الى القاهرة كان الناصر محمد قد امر ناظر الخاص عبد الوهاب النشو « بعمل بشخاناة ودايز بيت من حرير مخمل ، ويزركشهما بمائة الف دينار ، وأمره أن يجهز خمسين تشريفاً للأمراء ، منها ثلاثة وعشرون تشريفاً اطلس بحوائص ذهب كاملة ، وبقيتها ما بين طرد وحش ومصمط . . . وما يحتاج اليه من السروج ونحوها ، وما يحتاج اليه المهم مما يبلغ زيادة على ثلثمائة الف دينار ». (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٦٠)

ويؤكد ابو المحاسن هذه الوقائع جميعها بقوله :

« وكان من اكرامه له في هذه السفرة ما لا عهد من ملك مثله » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٢٩)

وعلى ذلك يمكننا أن نلاحظ ما تمتع به تنكز الحسامي من بالغ الاحترام وعمق المحبة في عهد الناصر محمد ، كما كان لابنته زوجة السلطان منزلة رفيعة في نفس الناصر محمد ، ومركزاً سامياً في الدور السلطانية ، فحظيت بمختلف مظاهر الترف والثراء الفاحش ، كما كان لكل اولاد تنكز الكثير من تقدير الناصر محمد وعطفه ، فعاشوا في رغد العيش ، وسعدوا بالأمرة والمناصب العالية حتى لم يجد الناصر محمد شيئا آخر يمكن أن يعطيه لهم زيادة على ما حصلوا عليه من الانعام والتكريم . وزيادة على ذلك فقد بلغ من معزة الناصر محمد لتنكز انه قرر تزويج اثنتين من بناته الى ولدي تنكز احمد ومحمد من أجل توطيد العلاقات بين الأسرتين وتدعيم روابط النسب والمصاهرة . ولعل الناصر محمداً في قراره هذا كان يخطط في سبيل تأكيد مكانة تنكز بين اسرة قلاون فاذا توفي الناصر محمد كان تنكز خير وصي يمكن أن يأتمنه الناصر محمد كي يأخذ بيد أولاده في الحكم ، فيهيء لهم سلطنة متينة ثابتة ، ويحول دون طمع كبار الأمراء المماليك في الحكم والجلوس على كرسي السلطنة .

وفي هذا وحده تعبير صادق عن الثقة الكبيرة التي يحملها الناصر محمد لتنكز ، وايمانه العميق بصدقه واخلاصه ، وأنه لا بد سيتفانى في خدمة ولي عهد الناصر محمد حينما يتولى زمام الأمور في سلطنة المماليك . ونستطيع ان نقدر هذه الرغبة الشخصية للناصر محمد اذا ما عرفنا انه شهد في فترات حكمه الثلاث سلسلة طويلة من المؤامرات التي نجحت أكثر من مرة في الاطاحة بحكمه ، وتسلطن أمير آخر . وكان الناصر محمد على ادراك تام بأن هذا سيلحق بأولاده إن عاجلا أو آجلا ، فأراد أن يمهد لهذا الأمر بتأكيد وضع تنكز بين أفراد أسرة قلاون ، خاصة وانه يعلم بأن تنكز خير معين له ، ولأولاده من بعده .

كذلك يجدر بنا أن نشير الى موقف تنكز من الناصر محمد وكبار الأمراء حيث كان كثير الاهتمام بتكريمهم بالهدايا والتقادم اخذا بعين الاعتبار ما يمكن أن يضفي ذلك على مركزه من العلو والرفعة .

الى جانب انه يسترعي انتباهنا حرص تنكز على أن يبين أمام كبار الامراء المماليك مدى ما يتمتع به من احترام الناصر محمد ومحبته ، وثقته الكاملة وعدم رد اي طلب يتقدم به اليه ، وكأنه كان يجد في ذلك الاهتمام منبعاً يمكن أن يدعم مكانته سواء في البلاط الناصري أو في مقر نيابته ببلاد الشام ، أو ـ بوجه خاص ـ بين الأمراء انفسهم فيكثر احترامهم له ، وتبجيلهم اياه مما يزيد في قوته وسلطته .

وهكذا تحقق لتنكز كل ما يريد الحصول عليه من اعزاز وتقدير مادي ومعنوي لدرجة ان كبار الأمراء مثل قوصون اجتهدوا في خدمته والعمل على راحته وتجهيزه بكل ما يريد من وسائل الراحة في سفره عائدا الى دمشق ، وكأنهم كانوا بهذا العمل يرغبون في ارضاء السلطان عن طريق ارضاء تنكز ، فهو خير من يزيكهم لدى السلطان .

ولا شك ان تميز تنكز الحسامي بالأخلاق السامية والخصال الفاضلة كان له أثر فيما حصل عليه . ونجد أنه من الأقوال التي تمتدح خلق تنكز الحسامي تلك الرواية التي يقولها ابن حجر : « قرأت بخط الشيخ تقي الدين السبكي ما ملخصه ، في نصف ليلة الاربعاء رابع عشر جمادي الأولى سنة ٧٤٨ هـ رأيت في منامي اني امر من مكان الى مكان وسيف الدين تنكز قاعد في مكان فقام على قدميه لي ، فجئت فسلمت عليه وقلت له الله يعلى قدرك كما تعلى قدر الشرع قلتها له ثلاثا فقال لي تكلمت في الدليل وقسمته في شرح المنهاج مليحاً » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٦١)

كما يقول ابو المحاسن :

« وكان تنكز اميراً جليلاً محترماً مهاباً عفيفاً عن اموال الرعية حسن المباشرة والطريقة ، الا انه كان صعب المراس ذا سطوة عظيمة وحرمة وافرة على العيان من أرباب الدولة ، متواضعاً للفقراء وأهل الخير ، وأوقف عدة أوقاف على وجوه البر والصدقة » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٥٢)

وفي هذه الأقوال جميعها برهان واضح على أن تنكز بالفعل يستحق كل ما خصه به الناصر محمد من العطف والرعاية والتكريم من بين اقرانه من الأمراء والنواب والخاصكية .

ويلفت نظرنا بوجه خاص وضع تنكز السياسي في السنوات الأخيرة من حياته فيذكر ابن حجر انه عندما جاء تنكز الى القاهرة سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م كتب له الناصر محمد « تفويضا في جميع مملكة الشام ، وأن النواب بأسرها تكاتبه بما يكاتبه له السلطان » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٩) .

وعلاوة على ذلك نجد انه عندما « توجه الأمير تنكز نائب الشام من دمشق يريد بلاد سيس لكشف البلاد التي أنعم بها عليه ، فمر على حماة ، ونادى بها الا يقف احد للملك الأمراء بقصة ، ومن كانت له حاجة فعليه بصاحب حماة ، وخلع على صاحب حماة . ومضى تنكز الى حلب ، ودخل بلاد سيس ، فأهدى اليه تكفور هدية سنية مع أخيه ، فقبلها وخلع عليه وعمر تنكز تلك الضياع بالرجال والابقار والغلال . »
(المقريزي ، جزء ٢ : ٤٦٧ ـ ٤٦٨) .

الى جانب ذلك يقول العيني ان الناصر محمداً « اضاف نيابة غزة اليه (تنكز) ليثبت فيها من جهته من أراد » (العيني ، مخطوط ، ٢٢٣٦٠ : ورقه ٤٠ ب) ولا شك أن في هذا برهانا واضحا على المكانة السامية التي وصل اليها تنكز الحسامي في المرحلة الأخيرة من حياته ، فأصبح في منزلة تكاد تتساوى في صلاحياتها من السلطة والقوة والثروة مع ما كان يعتبر من الحقوق الخاصة بسلطان الدولة فقط دون غيره من كبار الأمراء في الطبقة الارستقراطية الاوليجاركية الحاكمة ، فتمتع بأحقية الخلع على حكام الأقاليم بالألقاب السامية والهدايا الفاخرة .

كما زادت ممتلكاته من الاقطاعات الواسعة التي حباه الناصر محمد بها وتأكدت صلاحيات حكمه على الكثير من المدن والقلاع في شمال بلاد الشام ، فأضحى وكأنه الحساكم الأعلى لولاية بلاد الشام دون بقية النواب في حماه وحمص وحلب وصفد وغيرها ، فهو يعين من يريد ، ويعزل من لا يرغب في وجوده ، ويسبغ على من يحب الالقاب والهدايا ، وهذه درجة كبيرة من النفوذ لم يسبقه اليها احد من نواب بلاد الشام في تاريخ سلطنة المماليك .

ويثير اهتمامنا حقا حرص حكام البلاد المجاورة من الولايات الارمينية والمغولية والرومية على رضاه عنهم ، مع اهتمامهم الكبير بتقديم الهدايا اليه رغبة منهم في ان يحظوا بوده وصداقته ، ولم لا وهو الآن قد غدا الحاكم ذو الصلاحيات المطلقة في مختلف مجالات السياسة ، والحرب والاقتصاد .

وربما فكر بغزو هذه الولاية أو مهاجمة تلك ، ولذا فمن الأفضل أن يسألوه الرضا من أجل اقامة علاقات سلام وحسن جوار . ولا يمكننا أن نهمل هنا ادراكهم التام للحماس الكبير الذي كان يمتلك نفس تنكز في سبيل الجهاد الاسلامي خدمة للدين الحنيف والدولة الاسلامية .

كما كانوا يعلمون مدى ما كان يتمتع به من العطف السلطاني فيروي المقريزي ان الناصر محمد بن قلاون خصه بعدد من الألقاب السامية في أثناء زيارته للبلاط السلطاني سنة ٧٣٩هـ / ١٣٣٨ م حيث يقول :

« وكتب له تقليداً بتفويض الحكم في جميع الممالك الشامية بأسرها ، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها ، وأن تكون مكاتبته : « اعز الله انصار المقر الشريف ، بعدما كانت أعز الله انصار الجناب » وأن يزاد في القابه : « الزاهدي العابدي العالمي كافل الاسلام اتابك الجيوش » (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٦٢)

ويؤكد ابو المحاسن هذه الحقيقة بقوله :

« وكتب له تقليداً بتفويض الحكم في جميع الممالك الشامية بأسرها ، وأن جميع نوابها تكاتبه بأحوالها ، وان تكون مكاتبته :

« أعز الله انصار المقر الشريف » بعدما كانت « أعز الله انصار الجناب » وأن يزاد في القابه : « الزاهدي العابدي العالمي ، كافل الاسلام ، اتابك الجيش » . (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٣٠)

الوحشة بين الناصر محمد والامير تنكز

ونتيجة لذلك فحينما نصل الى السنوات الأخيرة من حياة تنكز الحسامي نجد أنفسنا في دهشة وعجب مما وصل اليه من اقصى درجات التعظيم والتكريم في بلاط الناصر محمد . وفوق هذا وذاك تمتع تنكز الحسامي طوال حياته بالهيبة وعلو المركز وخاصة من جيرانه الارمن والتتار ، فيذكر ابن حجر : « وكان يتوجه في كل سنة الى الصيد ، وربما عدى (أي عبر) الفرات، وتصيد فى ذلك البر اياما ، وكان أهل تلك البلاد ينجفلون قدامه الى تبريز والسلطانية ومرديين وسيس» (ابن حجر، جزء٢ : ٥٧ - ٥٨)

ويضيف ابن خلدون ان وجود تنكز الحسامي في الشام كان يثير الخوف في نفوس أولئك الجيران فنشطوا في الفتنة بينه وبين الناصر محمد ، من ذلك قوله :

« ولما توفي ابو سعيد وانقرض ملك بني هولاكو ، وافترق امر بغداد ، وكانا معا يجاورانه ويستنجدانه ، سخطه بعضهم فراسل السلطان بغشه وأوهامه في طاعته وممالأة اعدائه» . (ابن خلدون ، المجلد الخامس ، ق ٤ : ٩٤٨). ولا شك انه سيكون لهذا الأمر اثر كبير في نفس الناصر محمد الذي كان دائم التخوف من نجاح أحد كبار الأمراء في الاطاحة بحكمه ، ولذا كان ينتهج في السنوات الأخيرة من حكمه - على وجه التخصيص - سياسة متطرفة في القبض على كبار الأمراء والنواب ، وحكام الأقاليم والولايات المملوكية دون هوادة . ويمكننا القول انه كان طوال فترة نيابته « ذا سطوة ، وهيبة ، وزعامة ، واقدام على الدماء ونفس سبعية ، وفيه عتو وحرص مع ديانة في الجملة » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٦١)

كذلك يقول المقريزي:

« وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان ، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر . وعدى الفرات مرارا ، فاتفق انه عدى مرة ، فحمل اليه الشيخ حسن الكبير وابن سونتاي الهدايا الجليلة ، وخافه اهل بغداد والموصل ، فجلا كثير منهم ، وخافته الاكراد - والتركمان والعربان بأجمعهم . وكانت اولاد دمرداش في أعمال توزير ، فاذا بلغهم مسيره رحلوا خوفا منه ، حتى يبلغهم عوده الى دمشق » . (المقريزي ، جزء٢ : ٥١٢)

وهكذا استمر تنكز الحسامي في القيام بمسؤ وليات منصبه كنائب الشام طوال حياته لمدة ثمان وعشرين سنة حتى قبض عليه رجال الناصر محمد في ذي الحجة سنة ٧٤٠هـ / حزيران - يونية سنة ١٣٤٠ م حيث احضر الى القاهرة في محرم سنة

٧٤١هـ / حزيران ـ يونيه سنة ١٣٤٠م ، لكي يحبس ويقتل بعد اثني عشر يوما فقط من مقدمه الى القاهرة .[٤٣]

كذلك تجدر الاشارة الى أن الناصر محمداً اجتهد في القبض على كل افراد عائلة تنكز الحسامي وكافة مماليكه الحسامية ، كما نشط في مصادر ثروته الطائلة جميعها ، وكل ما تملكه عائلته ومماليكه .[٤٤]

وفي محاولة لمعرفة قيمة الثروة التي تركها تنكز الحسامي نجد انفسنا مجبرين على اعتماد ما ذكره بعض المؤرخين المعاصرين لهذه الحقبة حيث ان أصحاب هذه الكتابات شهود عيان للحوادث التي جرت في هذه الفترة، من ذلك ما يقوله الشجاعي : « وأما ما كان من الأمير سيف الدين بشتاك[٤٥] ومن معه من الأمراء المجردين فانهم توجهوا الى دمشق وأخذوا سائر موجود تنكز وخيله وبركه وأثاثه وما يعرف به وكان شيئاً عظيماً ما لا يمكن ذكره ولا يقبله العقل حتى ان من جملة ما وجد له حمل فاخر جمال نوافش مسك وأموال عظيمة وذخائر جليلة ووجد له ذهب عين ثلثمائة الف دينار وخمسون الف دينار ومائة ضيعة ملك فأرسلوا ذلك جميعه للسلطان وأرسلوا حريمه وأولاده للسلطان صحبة بيغرا فأنزلهم بدارهم في الكافوري بالقاهرة ومسكوا من امراء دمشق ممن اتهم بالميل لتنكز ثلاثة امراء الجاي بغا العادلي[٤٦] وطبغا حاجي[٤٧] وصاروجا المظفري[٤٨] في ثالث عشر المحرم وأحضروا مملوكية طغاي[٤٩] امير أخور وجنغاي[٥٠] اكبر مماليكه ، وضربوهم وقرروهم وصفوا اموالهم ثم بعد ذلك وسطوهم بسوق الخيل في خامس عشر المحرم، وعلقوهم بكوم المشانيق ثم اخرجوا بعد ذلك الأمير صاروجا المظفري وأكحلوه في حادي عشرين المحرم ، وصادروا جماعة من أهل دمشق ممن اتهموا انهم من جهة تنكز أخذوا أموالهم وركب الأمير سيف الدين بشتاك على البريد من دمشق وصحبته فطلوبغا الفخري وحضر للسلطان وترك بدمشق الأميري برسنبغا[٥١] وبكا الخضري،[٥٢] يستخلصون أموال تنكز ويبعثون ما تأخر من أثاثه فحصلوا من ذلك جملة كثيرة تقدر بخمسين الف دينار ، وأحضروا صحبته خمسة وثلاثين قنطار جمال محملة تفاصيل خارجا عما أرسلوه أولا وكان حضور برسبغا وبكا بالقماش في عشرين صفر والذي وجد لتنكز لم يوجد لغيره من الأمراء لأن بركته اشتملت على ستمائة الف دينار ووجد عنده مائة حياصة مجوهرة وستون بقجة بدلات زركش ومائتا تخفيفة زركش ومائتا وستون منديل زركش والفا ثوب اطلس احمر ووجد له من الخيل والجمال اربعة آلاف ومائتا عليقة» (الشجاعي، مخطوط، ٩٨٣٣: ورقة ٦٧ ب ـ ٦٨ ب)

كذلك يذكر الصفدي في مخطوطته « تحفة الالباب في من حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنواب » انه في سبيل تنفيذ خطة الناصر محمد للقبض على تنكز الحسامي نائب دمشق قد « حضر الأمير سيف الدين بشتاك ومعه عشرة امراء من مصر ، وترك القصر وحلف العسكر للسلطان ولأولاده من بعده ، واحتاط على حواصله وموجوده ، ووسط امير آخور طغاي وجنغاي ، وحمل ما كان حاصلا من الذهب والفضة والحوائص والطرز والكلوتات ، وأنواع القماش والجواهر

والقطع العربية واللؤلؤ المدور ، ما كان جملته ثمان مائة حمل جمل ، ومن ضمن ذلك ما وجد من العين ذهبا ثلثمائة الف دينار وستين الف دينار ، والف الف وخمس مائة الف درهم وأخذت مماليكه وجواره وخيوله المثمنة الى مصر » (الصفدي ، مخطوط، ٥٨٢٧ : ورقة ٢٠٤ أ ـ ب)

أما المؤرخ المقريزي فيروي ان الناصر محمداً لم يكتف بمصادرة اموال وأملاك تنكز الحسامي ، بل نفذ ذلك ايضا مع مماليكه جنغبة (جنغاي) وطغية (طغاي) وعائلتيهما ، اذ انه يقول :

« وتتبعت مماليكه وخاصة جنغية وطغية ، وسلما للامير برسبغا فعاقبهما اشد عقوبة على المال ، وقبض على أولادهما وحواشيهما . وتتبعت اموال تنكز ، فوجد له ما يجل وصفه . وعملت لبيع حواصله عدة حلق ، تولى البيع فيها الأمير الطنبغا نائب الشام والامير ارقطاي وهما أعدى عدو له ، وكان في ذلك عبرة لمن اعتبر .

وظهر له من التحف السنية ما يعز وجود مثله : منها مائتا منديل زركش ، ومائة حياصة مرصعة بالجوهر ، واربعمائة حياصة ذهب ، وستمائة كلفتاة ، وثمانية وستون بقجة بها بدلات ثياب زركش ، والف ثوب أطلس ، ومائتا تخفيفة زركش ، وذهب مختوم أربعمائة الف مثقال . واشتملت جملة ما أبيع له على مائتي الف دينار ، فكان جملة العين ستمائة الف دينار وأربعمائة دينار .

ووجد له من الهجين والخيل والجمال البختاني وغيرها نحو أربعة آلاف ، ومائتي رأس وذلك سوى ما أخذه الأمراء ومماليكهم ، فانهم كانوا ينهبون ما يخرج به نهبا ووجد له من الثياب الصوف ، ومن النصافي ما لا ينحصر وظفر الأمير بشتاك بجوهر له ثمين اختص به . وحملت حرمه وأولاده الى مصر صحبة الأمير بيغرا[٥٣] ، بعدما أخذ لهم من الجوهر واللؤلؤ والزركش شيء كثير » (المقريزي ، جزء٢ : ٥٠٧ ـ ٥٠٨)

يمكننا أن نستدل من هذه الأقوال ان تنكز الحسامي ترك وراءه ثروة طائلة من المال والجوهر والعقار ، وهذا يؤكد بشكل لا يدع مجالا للشك انه كان يحظى بتقدير ومودة الناصر محمد طوال مدة نيابته .

وهذا كله يؤكد أن تنكز الحسامي كان واعياً الى أهمية دعم نفسه مادياً والتأكيد على أن تحتل صورته المظهرية مكان الصدارة في المجتمع المملوكي الارستقراطي ، فيقول ابن حجر : « وله بالديار المصرية دار مليحة وحمام مشهور بالكافوري » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٧)

ولعل السؤال الذي يجب أن يطرح هنا هو ما الاسباب التي جعلت الناصر محمداً بهذه الصورة وبشكل فجائي ينقلب ضد مملوكه الحميم تنكز الحسامي؟ وما العوامل التي أحدثت هذا التغيير بحيث أصبح الناصر محمد مصراً كل الاصرار على امساك تنكز وسجنه ثم قتله خلال فترة وجيزة؟ وما الذي فعله تنكز حتى يستحق ل هذا العذاب؟ وما هذا الانقلاب المفاجيء الذي حصل لتنكز بعد أن كان سيد الامراء وشيخ النواب ،

أصبح الآن مطارداً من الناصر محمد الذي أضحى موضوع القبض على تنكز يشغل عليه كل وقته وتفكيره، فبات لا يعني بأي شيء غير ذلك، ولا يهتم لغيره من الأمور، بل غدا يفكر ان الاستقرار في الدولة لا يمكن أن يتم دون امساك تنكز وقته، وأن حكمه وسلطانه اصبح مهدداً بالانهيار ما لم يقبض على تنكز ويودع السجن بشكل نهائي. لهذا كله يلح علينا السؤال عن السبب الذي غير الناصر محمداً نحو تنكز فنسي ما حباه به من المودة والعطف، وما أعطاه اياه من رفيع المنزلة وعلو المكانة؟ وكيف يمكن ان تتحول مشاعر الود هكذا وبسرعة عجيبة الى كراهية وحقد ورغبة كبيرة في الانتقام دون تردد أو تفكير؟ ما الدوافع وراء هذا التغيير؟ وما هي العوامل التي كانت تحرك هذا التيار الفجائي الهادف الى مناصبة تنكز العداء مع هذا العزم الكبير في القبض عليه؟ عند مناقشتنا للأسباب التي دفعت الناصر محمداً الى القبض على تنكز الحسامي نجد انه من الجدير أن نذكر ملاحظة الشجاعي حول هذا الموضوع حيث يقول:

« قبض الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام نهار الثلاثاء الحادي والعشرين من ذي الحجة سنة تاريخه بدمشق بميدان الحصى، وكان الموجب لذلك ان السلطان الملك الناصر كان من عادته وخلة سياسته أنّه اذا كبر أحد من أمرائه ومماليكه أذهبه وأقام صغير غيره ليأمن مكره ويكتفي شره وكان قد أقام الأمير سيف الدين تنكز المذكور نائبا بالشام في عاشر ربيع الآخر سنة اثني عشر وسبع مائة فتوجه اليها ودخل دمشق المحروسة يوم الخميس العشرين من الشهر المذكور وأقام بها نائبا الى حين مسك ثمانية وعشرين سنة وثمانية شهور وطالت في النيابة مدته وكبرت شوكته وكثرت حاشيته ». (الشجاعي، مخطوط، ٩٨٣٣: ورقة ٥٤ ب)

يبدو أن تنكز بدأ يشك في موقف الناصر محمد منه خلال الأشهر القليلة التي سبقت القبض عليه، ونتيجة لذلك ناقش تنكز هذا الوضع الجديد مع مماليكه الحسامية فأشاروا عليه بأن يرسل الى قلعة جعبر[٥٤] المال والسلاح بحيث يتم ذلك بسرية تامة، ويجهز المكان حتى يكون مناسبا للجوء اليه وقت الضرورة. وفي هذا الموضوع يذكر الشجاعي:

« وشرع نائب الشام كل ليلة يجلس مع قرمشي[٥٥] وجنغية وطغية ويضرب معهم الرأي في أمر السلطان ويعرفهم مكائده وانه يعرف من أخلاقه انه اذا كبر عنده مملوك ضجر منه، وتقصّد اتلاف صورته واستشارهم فيما يفعل فأشاروا عليه مماليكه جنغية وطغاي أن يرسل بعض ثقله الى قلعة جعبر ويكون فيها سلاح وعدد وخزانة ذهب وشيء اذا احتاج اليه وجده وأن يشيع بين الامراء انه يقصد التوجه للصيد ويجهز حاله الى حين حضور مملوكه من مصر ويسمع جواب السلطان » (الشجاعي، مخطوط، ٩٨٣٣: ورقة ٥٩ب)

ونعجب في الحقيقة حين نرى ان تنكز الحسامي كان على معرفة تامة بطبائع الناصر محمد وخاصة بكراهيته الشديدة لأي مملوك عنده عندما يكبر ويصل الى مركز رفيع في الدولة، فيضجر منه ويجتهد في القبض عليه، وقتله في سجنه.

ولكن يبدو انه رغم ادراك تنكز لكل هذه الأمور السياسية والشخصية المتعلقة بمنهج الناصر محمد في الحكم ، وطبيعة علاقاته مع كبار الأمراء من مماليكه ، الا ان تنكز لم يعمل حساب هذا اليوم . ولعل هذا يعود بالدرجة الأولى الى إخلاصه وتفانيه في خدمة الناصر محمد الى جانب ما يربطه به من علاقة النسب والمصاهرة .

بالإضافة الى ما كان ظاهراً بوضوح من المودة والاعزاز اللذين كان الناصر محمد يكنهما لتنكز الحسامي ، كما كان حريصاً على اظهار ذلك في كل مناسبة ، متبسطاً معه الى أقصى حد ، الأمر الذي كثيراً ما أثار تعجب ودهشة بقية الأمراء .

وفي الحقيقة لقد كان تنكز الحسامي محقاً في شكوكه وهواجسه ، اذ كان الناصر محمد يخطط فعلا في السر من أجل القبض على تنكز وسجنه ، كما أن المماليك الحسامية « قد توهموا من قطلوبغا الفخري[٥٦] لأن قرمشي لما خرج من مصر من عند السلطان عرفه ان يكون هو وقطلوبغا الفخري متفقين على مصلحة السلطان وكتب صحبته ملطف الفخري وعرفه اموراً يفعلها واجتمع قرمشي وقطلوبغا الفخري وعرفه القصد وأوصل اليه الملطف ووثق كل منهم بصاحبه وبلغ جنغية وطغاي من أحد مماليك الفخري ان قرمجي يكثر الاجتماع باستاذهم من غير عادة وهم متباطنون في امر السلطان فعرفوا تنكز ذلك وحذروه من الوثوق بقرمشي وان لا يطلعه على أسراره فخرج عليهم وقال : انتم تبغضوه وتقصدوا بعده عني والا قرمشي ما نفع في شيء من هذا . وبقوا منتظرين حضور المملوك المتوجه لمصر الى أن حضر وأخبر استاذه ان السلطان قد تغير عما كان وان الاشاعة بمصر أن بشتاك ما يحضر الا لمسك نائب الشام وبعض الناس يقول ان السلطان قصد مسك بشتاك وما قدر عليه بمصر ويرسله الى الشام ويرسل لنائب الشام بمسكه ويعتقله بدمشق وكان السلطان اشاع ذلك عند بنت تنكز لعلمه انها لا غني لها ان تشيعه وذلك على سبيل المكر والمكيدة من السلطان ، وكان السلطان عند حضور مملوك تنكز بالكتاب ما يرد له جواباً، وقال له : روح والجواب يحضر لاستاذك صحبة طاجار الدوادار، وبقي نائب الشام يترقب حضور طاجار وهو خائف وجل من حضوره لأن يحضر صحبته ملطفات لأمراء دمشق بمسكه » (الشجاعي ، مخطوط ، ٩٨٣٣ : ورقة ٦٠أ ـ ب)

ويؤكد ابو المحاسن قول الشجاعي حول هذه النقطة ، ويضيف انه عندما علم الناصر محمد بنوايا تنكز الحسامي في اللجوء الى قلعة جعبر قرر ان يرسل الى دمشق جيشا يقبض على تنكز قبل أن ينفذ خطته في الهرب ، اذ انه يقول :

« ثم في هذه السنة تغير خاطر السلطان على مملوكه الأمير تنكز نائب الشام ، وبلغ تنكز تغير خاطر السلطان عليه ، فجهز أمواله ليحملها الى قلعة جعبر ويخرج هو اليها بعد ذلك بحجة انه يتصيد ، فقدم اليه الأمير طاجار الدوادار قبل ذلك في يوم الأحد رابع عشر ذي الحجة وعتبه وبلغه عن السلطان ما حمله من الرسالة ، فتغير الأمير تنكز وبدأت الوحشة بينه وبين السلطان ، وعاد طاجار الى السلطان في يوم الجمعة تاسع عشر ذي الحجة فأغرى السلطان على تنكز وقال : انه عزم

على الخروج من دمشق ، فطلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتك والأمير بيبرس الأحمدي[٥٧] والأمير جنكلي بن البابا[٥٨] والأمير ارقطاي[٥٩] والأمير طقزدمر[٦٠] في آخرين ، وعرفهم ان تنكز قد خرج عن الطاعة ، وأنه يبعث اليه تجريده مع الأمير جنكلي والأمير بشتك والأمير ارقطاي والأمير ارنبغا امير جاندار والأمير قماري[٦١] أمير شكار والامير قماري[٦٢] اخو بكتمر الساقي والأمير برسبغا الحاجب ، ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون امير طلبخاناه وعشرون امير عشرة وخمسون نفرا من مقدمي الحلقة واربعمائة من المماليك السلطانية وجلس وعرضهم . ثم جمع السلطان في يوم السبت عشرين ذي الحجة الأمراء جميعهم وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير أبي بكر من بعده وطلبت الأجناد من النواحي للحلف ، فكانت بالقاهرة حركات عظيمة وحمل السلطان لكل مقدم الف مبلغ الف دينار ، ولكل طلبخاناه اربعمائة دينار ، ولكل مقدم حلقة الف درهم ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرسا وقرقلا وخوذة ، فاتفق قدوم الأمير موسى بن مهنا فقرر مع السلطان القبض على الأمير تنكز ، وكتب الى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز . ثم بعث السلطان بهادر حلاوة[٦٣] من طائفة الأوجاقية على البريد الى غزة وصفد والى امراء دمشق بملطفات كثيرة . ثم أخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان واقامته على حمص ، واهتم السلطان بأمر تنكز اهتماما زائدا جدا » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٤٥ - ١٤٦)

ولكننا نلاحظ أن أبا المحاسن في موضع آخر من كتابه « النجوم الزاهرة » حينما يناقش الأسباب التي جعلت الناصر محمداً يصمم على امساك تنكز الحسامي يسجل حقيقة تؤكد ان نائب الشام طلب الاذن من الناصر محمد بأن يسافر الى قلعة جعبر ، غير أن الناصر محمداً رفض السماح له بذلك ، الأمر الذي أثار نقمة تنكز ، فأخذ يردد بعض العبارات التي تدل على حنقة بسبب تغير سياسة الناصر محمد ، وقد بلغ ذلك الناصر محمداً على لسان بعض الأمراء الذين كانوا يرغبون في الانتقام من تنكز الحسامي ، فاشتد غضبه على تنكز الحسامي ، وازدادت مخاوفه مما وصل اليه من سلطة وسطوة ، من ذلك قوله :

« وكان لتغير السلطان الملك الناصر على تنكز هذا اسباب منها : انه كتب يستأذنه في سفره الى ناحية جعبر فمنعه السلطان من ذلك لما بتلك البلاد من الغلاء ، فألح في الطلب والجواب يرد عليه بمنعه حتى حنق تنكز وقال : والله لقد تغير عقل استاذنا وصار يسمع من الصبيان الذين حوله ، والله لو سمع مني لكنت اشرت عليه بأن يقيم احدا من أولاده في السلطنة وأقوم أنا بتدبير ملكه ، ويبقى هو مستريحاً فكتب بذلك جركتمر الى السلطان ، وكان السلطان يتخيل بدون هذا فأثر هذا في نفسه ».[٦٤]

ولا شك ان هذا يدل على ان ابا المحاسن يتفق مع الشجاعي فيما يختص بخروج تنكز إلى قلعة جعبر سرا ، على الرغم مما يظهر من ان ابا المحاسن ينظر الى هذه النقطة وما تلاها من حوادث على انها السبب الرئيسي الذي جعل الناصر محمداً يغير موقفه من تنكز الحسامي.

كما يتفق المقريزي مع هذين المؤرخين في ان المشاعر الطيبة التي كان يحملها الناصر

محمد لمملوكه تنكز الحسامي اخذت تتغير ، ونتيجة لذلك بدأ تنكز يضع الترتيبات اللازمة لهروبه الى قلعة جعبر ، حيث انه يقول : « وكان قد بلغ تنكز تغير السلطان عليه ، فجهز أمواله ليحملها الى قلعة جعبر ، ويخرج اليها بحجة انه يتصيد » (المقريزي ، جزء٢ : ٤٩٨)

ثم يضيف المقريزي ان السلطان الناصر محمداً جمع في يوم السبت ٢٠ ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ / حزيران - يونية سنة ١٣٤٠م « الأمراء جميعهم وحلف المجردين والمقيمين له ولولده الأمير ابي بكر[٦٥] من بعده ، وطلب الأجناد من النواحي للحلف ، فكانت بالقاهرة حركات كثيرة . وحمل السلطان لكل مقدم الف ،مبلغ الف دينار ولكل أمير طبلخاناه اربعمائة دينار ، ولكل مقدم حلقة الف درهم ، ولكل مملوك خمسمائة درهم وفرس وقرقل وخوذه وغير ذلك »[٦٦]

هذه الحقيقة تثبت ما سبق أن اشرنا اليه من رغبة تنكز الحسامي في ادارة شؤ ون الدولة ، خاصة اننا نعرف ما تم الاتفاق عليه بين الناصر محمد وموسى بن مهنا (ت ٧٤١هـ / ١٣٤١م)[٦٧] بخصوص القبض على تنكز ،[٦٨] بل ان موسى « كتب الى العربان بأخذ الطرقات من كل جهة على تنكز »[٦٩] . كما يذكر المقريزي انه « وجد لتنكز بقلعة جعبر مبلغ ثلاثين الف دينار وثلاثين حمل سلاح ، ووجد له حاصل سروج ولجم وسلاسل ذهب وفضة وعدة سلاح بما ينيف على مائة الف دينار » . (المقريزي ، جزء ٢ : ٥٠٨)

كذلك يذكر في موضع اخر : « وعمر قلعة جعبر بعد خرابها من عهد غازان ، وشحنها بالرجال والسلاح والغلال والذخائر » (المقريزي ، جزء٢ : ٥١٢) .

وعلى ذلك يمكن القول ان تنكز الحسامي كان متأكدا من موقف الناصر محمد غير الودي نحوه خلال الأشهر القليلة التي سبقت القبض عليه ، كما كان مدركاً تمام الادراك ان الشكوك سرعان ما تساور قلب الناصر محمد لأقل امر قد يأتيه أي مملوك من مماليكه أو كبار الامراء حيث ينشط من أجل القاء القبض على المشكوك به وقتله ، لهذا كله اجتهد تنكز في تجهيز قلعة جعبر لتكون الملجأ المناسب له وقت الضرورة، ولكن الناصر محمداً كان أسرع منه في الكلمة والعمل .

ولكنا من جانب آخر نلاحظ انه عندما عرض جنغاي وطغاي على تنكز ان يسارع بالهرب معهما الى قلعة جعبر قبل أن ينفذ الناصر محمد خطة امساكه رفض تنكز ذلك ، وفضل التريث حتى تتضح الأوضاع أكثر ، وتنجلي حقائق الأحوال ابان تلك الفترة العصيبة في العلاقات مع الناصر محمد .

وتجدر الاشارة الى ان الحوليات المملوكية تسجل ان ارتنا نائب بلاد الروم[٧٠] بعث رسولاً الى السلطان بكتاب منه ، ولم يكتب معه كتاباً الى تنكز فحنق تنكز لعدم مكاتبته له ، وتجاهله اياه ، ورد رسوله من دمشق ، فكتب ارتنا يخبر السلطان بما حدث ، وسأل الا يطلع تنكز على ما بينه وبين السلطان، بل ووصفه بأمور وأشياء أثارت غضب السلطان الناصر محمد على تنكز وتغيره نحوه .[٧١] .

تـرى الى أي مدى يمـكن أن تؤكد هذه الواقعـة الحقيقـة القائلـة بطمـوح تنـكز في الوصول الى مركز مساو للناصر محمد في دولة المماليك؟

بالاضافة الى هذا كله يذكر المقـريزي أن تنكز قد غضـب « على جماعـة من مماليكه . وضربهـم وسجنهـم بالـكرك والشوبـك ، فكتب منهم جوبان ـ وكان اكبر مماليكه ـ الى الأمير قوصون يتشفع به في الافراج عنـه من سجن الشوبك . فكلم قوصون السلطان في ذلك فكتب الى تنكز يشفع في جوبان ، فلم يجب عن أمره بشيء ، فكتب اليه ثانيا وثالثا ، فلم يجب . فاشتد غضب السلطان حتى قال للأمراء : « ما تقولـون فى هذا الرجـل؟ هو شفع عندي في قاتل أخي ، فقبلـت شفاعتـه وأخرجتـه من السجـن وسيرتـه اليه ـ يعنـي طشتمر اخا بتخاص ـ وأنا اشفع في مملوكه ما يقبل شفاعتي ! » .

وكتب لنائب الشوبك بالافـراج عن جوبـان فأفرج عنه »[٧٢] .

واننا نعجب في الحقيقـة من هذه الواقعـة حينما نقرأ بعـد قليل بأن طشتمـر هذا الـذي شفع تنكز الحسامي في الافراج عنـه سيكون السبـب المبـاشر للقبض على تنـكز ، كما سيكون في هذا الأمر عنيفا وقحـا للغـاية من أجل ارضاء الناصر محمد .

لا شك ان هذه الحوادث قد تعتبر أمـوراً صغـيرة ستنسى وتتـلاشى مع مرور الزمـن ، ولكننـا اذا ما عرفنـا ان النـاصر محمداً طرف فيها ، فاننا سندرك حتما بانها ستـكون بمثابـة نقطة تحول في طبيعة العلاقـات بـين النـاصر محمـد وتنـكز الحسامـي كما أننـا سنأخـذ في الاعتبار فداحة النتائج التي سيعانيهـا نائـب الشام بعد فترة وجيزة .

الى جانـب ذلك يروي بعض مؤ رخـي العصر المملوكي حادثة الحريق الذي أصـاب الجامـع الأمـوي حيث « بـادر النـاس جميعـا اليه ، وأطفـأوه بحضرة الأمـير تنـكز في مدة يومـين بلياليهـا » (المقـريزي ، جزء ٢ : ٤٩٥) ثم توالى وقوع الحريق في الأيام التالية في عدد من القيسـاريات والاسـواق « فعـدم فيها نحو خمسة وثلاثون الف قوس وعدمـت الناس اموالا عظيمة ، منها للتجار خاصة ما مبلغه الف الف وستمائة ألف دينـار وخربـت أماكن كثيرة»[٧٣] .

وبعد فترة تبين لتنكز الحسامي ان السبب في تلك الحرائق هو بعض كتـاب النصـارى بمساعـدة « راهبـان احـدهما اسمـه ميلانـي والآخر اسمه عازر ، وقدما من القسطنطينية ليجاهدا في الملة الاسلامية ومعابدهـا ، وقـد باعا نفسيهما على ذلك ، وانهما يعلمان صناعة النفـط» .[٧٤] وقـد تمـكن هذان الراهبـان من الفـرار الى قبـرص (المقـريزي ، جزء ٢ : ٤٩٦) امـا بقية كتـاب النصـاري فقـد تم القبض عليهـم « وأحضروا بـين يدي الأمـير تنـكز ، فأقـروا جميعـا بذلك . فأوقـع تنـكز الحوطـة على موجودهـم » . (المقـريزي : ٤٩٦) ثم « سمر الجماعة في يوم السبت ثاني عشري ذي القعـدة (٧٤٠هـ) ، بعدمـا عوقبوا عقوبات عظيمة ، وعددهم احد عشر رجلا » .[٧٥] وأخيرا « لما سمروا وسطوا بعد

يومين ، ووجد لهم ما ينيف على الف درهم انفق منها في عمارة منارة الجامع »[٧٦]

ونتيجة لذلك كتب « السلطان الى تنكز ينكر عليه قتل النصارى ، وأن في ذلك اغراء لأهل القسطنطينية بمن يرد اليهم من التجار المسلمين وقتلهم ، ويأمره بحمل ما وجد من المال ، وأن يجهز بناته اللاتي عقد لأولاد السلطان عليهن فأجاب الاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق ، وأن المال الذي وجد للنصارى قد جعله لعمارة الجامع ، وجهز قرمجي بذلك فلم يرض السلطان » . (المقريزي ، جزء٢ : ٤٩٧)

ويعطي المؤرخ المعاصر الشجاعي صورة كاملة للحوادث التي وقعت في دمشق نتيجة هذه الحرائق التي اشعلها النصارى ، والدور الذي لعبه تنكز في معالجة الوضع بحكمة وروية ، وأخيرا اهتمام الناصر محمد بالأمر شخصيا بحيث كان لذلك اثر كبير في علاقته بنائب الشام تنكز الحسامي يقول الشجاعي :

« ان النصارى بدمشق غرهم الشيطان وحملهم الطغيان واجتمعت جمعتهم ، منهم كتاب وغيرهم واتفقوا على أن يرموا النار بدمشق خفية ويكيدوا المسلم بمكيدة فجعلوا يرموا النار بحيث لا يراهم احد وأحرقوا بدمشق أماكن كثيرة ومن جملتها احترق بعض الجامع الأموي الذي هو شامة الشام وفريد العصر والأوان الذي لم يبن مثله في الأزمان واحترق قيسارية القواسين وبعض قيسارية الحمير وبعض المدرسة الأمينة وبعض المجاهدية وبعض أملاك الأيتام وكان هذا الحريق مستهل ذي القعدة واحترق قبله في سادس عشر شوال الدهشة الأموية واللبادين وسوق اللبادين وسوق الطرائفتين والوراقين وطهارة جيرون وبعض درب العجم والحاصل والديوان ودار الخشب ، وذهب لخلق من المسلمين أموال جسيمة واحتراق املاك عظيمة وحصل للمسلمين بذلك أذى كبير ، فاغتم تنكز لذلك وحصل له هم عظيم لوقوع هذه النار ، وكشف عن حقيقة هذه الحال وما كان موجبه ومن السبب فيه فوقف على جلية الأمر وظهر له أن الذي فعل هذا الأمر النصارى من الكتاب وغيرهم فمسك من ظهر عليه الأمر وكانوا اثنى عشر نصرانيا من جملتهم كاتب سنجر الجمقدار[٧٧] والمكين عامل الجيش والمكين كاتب الحوطات والمكين كاتب بهادراص[٧٨] والعلم عامل بيروت وجماعة فقرر على النصارى الف الف ومائتي الف وقبض على اربعة منهم فسمروهم على الجمال وداروا بهم دمشق بكمالها ثم بعد ذلك احرقوهم بالنار كما فعلوا بالمسلمين ونظر فيما احترق من املاك المسلمين بدمشق ولم يقم بعمارتها فرمى بذلك على باقي النصارى بدمشق واستخلص منهم بالضرب والمقارع تسعون الف دينار ورسم بصرفها في عمارة ما احتراق من الأملاك وبدأ أولا بعمارة الجامع الأموي واصلاح ما احترق فيه وباشر عمارته بنفسه وصار يقعد فيه على كرسي وهو بتحقيقه من باكر النهار الى العشاء في غالب الأيام وأرسل للسلطان يعرفه بهذا الحال والذي احترق وانه نهض في هذا الأمر واستخلص من النصارى تسعون الف دينار وهو يلم ما تشعب فيها ويعمر ما خرب

فأرسل اليه السلطان ينكر عليه في استحياء النصارى ، وأن ذلك يلي الى فساد كبير في بلاد القسطنطينية على المسلمين في مقابلة ما فعله مع النصارى وأمرهم أن يرسل ما استخلصه من المال، أن يرسل الينا المال الذي حصله من النصارى، والجامع عمره من أوقافه وكل من له ملك يعمره من ماله فلم يرض تنكز أن يرسل شيئا ودافع عن ارسال المال واستمر على العمارة وحصل بدمشق في هذه المدة غلو في الاسعار وتأخر المطر عن وقته وبلغ الخبز رطل بدرهم وكثر الوخم وأرسل السلطان الى تنكز يقول له: اني عقيبها ارسل اليك الشياب صحبة الأمير سيف الدين بشتاك لتعبر بهم على اولادك عندك وتفرح بهم ورسمت لسائر الأمراء والنواب ان يرسلوا الى الأمير سيف الدين تنكز الشمع والتقادم، ورسم السلطان الى الأمير سيف الدين بشتاك أن يأخذ الثياب ويتوجه بهم يعبر بهم بيوتهم على اولاد تنكز ، فأرسلت سائر الأمراء والنواب مماليكها وأولادهم وصحبتهم الشموع والهدايا والتحف وتجهزت الدور السلطانية للتوجه للشام المحروس وعزم الأمير سيف الدين بشتاك على التوجه وصحبته من مماليكه ثلاثمائة وخمسون مملوكاً وصحبتهم عدة حربهم وآلتهم ، فبلغ الأمير سيف الدين تنكز حضور بشتاك بهذه المماليك الكبيرة ، فأنكره وخشي من ذلك وتوهم ان بشتاك ما يحضر الا بمسكه ، فطلب قرمشي الحاجب وجنغيه وطغاي مماليكه ، وكانوا هؤلاء هم مشورته ومعتقده وعرفهم انه يوجس من السلطان ظهر له التغير عليه وانه يقصد مسكه ، أقاموا الرأي بينهم أن يكتبوا الجواب للسلطان ويعتذر عن حضور بشتاك وعن العرس في هذا الوقت ، فان دمشق قد آل أمرها الى الخراب ومعظم أوقاف الجامع خراب ، وخربت مدارس ومساجد كثيرة وقد أرصد المملوك نفسه بالركوب كل يوم لعمارتها . وأما المبلغ الذي أخذته من النصارى ، فاني أصرفه في عمارة الجامع والسلطان يعلم ما الناس فيه من الغلاء والوخم وهذا أمر يحتاج فيه الى انشراح ، ويسأل صدقة السلطان في تأخيره وأوصى قرمجي فيما بينه ان يكشف له حاله عند السلطان ونائبه بالأخبار وتلطف ان يسأل لا يحضر فرد قرمشي الى ان وصل للسلطان وحدثه فوجد سائر امور السلطان قد تغيرت على نائب الشام». (الشجاعي، مخطوط، ٩٨٣٣ : ورقة ٥٦ ب ـ ٥٩أ)

وبهذا نلاحظ أن تنكز الحسامي قد قدم ثلاثة اعذار إلى الناصر محمد تبريراً لعدم موافقته على ارسال المال الذي اخذه من النصارى إلى السلطان ، أولاً الغلاء الكبير الذي طرأ على أسعار الأقوات والبضائع في الشام . ثانياً الجفاف والقحط الذي أصاب دمشق في تلك السنة . ثالثاً صرف تلك الأموال على ترميم واصلاح الأماكن التي خربت من جراء الحريق .

ويجدر بنا ونحن بصدد مناقشة العوامل التي أدت إلى تغير موقف الناصر محمد نحو نائب الشام أن نشير إلى الدور الذي لعبه بعض رجال البلاط ، وكانت عاقبة هذا الدور وخيمة على وضع تنكز في سلطنة المماليك .

وبعبارة اكثر تحديداً كان لذلك اثر كبير فيما وصلت اليه علاقته بالسلطان من العداء والكراهية حتى انتهى الأمر بالتخلص منه والقضاء على حياته ، ويأتي على رأس هؤلاء قرمشي أو قرمجي بن اقطوان الحاجب الذي نشأ في صفد، غير أنّ تنكز كان يحبه فنقله إلى دمشق حاجباً (ابن حجر، ١٩٦٦، جزء ٢ : ٣٣٢ - ٣٣١) وفي سبيل التقرب إلى السلطان، والحصول على منصب الحجوبية في مصر اجتهد في إمساك تنكز والإيقاع بينه وبين السلطان.

ويظهر موقف قرمجي هذا واضحاً عند قدومه إلى الناصر محمد حاملاً رسالة تنكز بالاعتذار عن العرس بسبب ما كانت تعانيه بلاد الشام وقتذاك من الظروف الاقتصادية المتردية ، ولكن هذا الجواب لم يعجب الناصر محمداً فنظر إلى قرمجي «نظرة الغضب فاستدرك قرمجي في جوابه وتحدث مع السلطان فيما يرضيه فاستعطفه السلطان وأوعده بمواعيد حسنة وأن يكبره ويوليه الحجوبية ، وباطنه في امر سائر الشام فباح له بسائر اسراره وضمائره وسبب حضوره ، وإن نائب (الشام) خائف من عاقبة امره مع السلطان ، وإنه حذر من حضور بشتاك وعرف سائر ما هو مطلع عليه من أمور نائب الشام ، فقرر السلطان معه أن يكون عينا له عليه (نائب الشام) وأن يرسل إليه بجميع احواله وما يتجدد له وما نهض قرمجي حتى غنمت نفسه أن نائب الشام ما بقي يسد منها عصابة ، وأن يكون هو حاجب بمصر . وكتب السلطان له الجواب لنائب الشام وهو ناكر عليه في العرس وأن لا غنى عنه . وأوصى لقرمجي أن يطالع بما يتجدد ، وسافر قرمجي » . (الشجاعي ، مخطوط ، ٩٨٣٣ : ورقة ٥٩أ) وهكذا استطاع الناصر محمد أن يحول قرمجي إلى عين تشهد أعمال تنكز وتفسرها حسبما يرضي شكوكه وارتيابه ، في حين نسي قرمجي فضل تنكز الحسامي الذي ساعده ورقاه حتى اصبح الحاجب الخاص لنائب السام[٧٩] ، واضحت المصلحة الشخصية هي المحور الذي يحرك الحوادث بما يخدم المنفعة الخاصة . إنها ولا شك سياسة كريهة تتضمن فرصة الارتقاء على حساب قضية تنكز ، وابرازها في شكل خطر يهدد استقرار الدولة ، ومن جانب آخر لعبت الظروف دوراً كبيراً في خدمة هذه الميول الانتهازية ، ذلك أن تنكز اعتذر عن استقبال الأمير بشتاك الذي كان سيحضر ليأخذ اولاده للعرس من القاهرة ، وإنه لا داعي لأن يتكبد الأمراء خسائر التقادم والشموع والهدايا بهذه المناسبة ، ويطلب تأجيل ذلك إلى أن يتحسن الوضع الاقتصادي ، ومن ناحية أخرى فانه لا مانع عنده من أن « يرسل اولاده بين يدي السلطان بغير مهم عنده ، وأرسل مملوكه (قرجي) بالكتاب وأمره بكشف حال السلطان معه وسرعة حضوره بالخبر » . (الشجاعي : ورقة ٥٩ ب) .

ولكن يبدو أن جواب تنكز هذا لم يعجب السلطان فجاء « دور سيف الدين طاجار المارديني[٨٠] لكي يلعب دوراً مشابهاً لما فعله قرمجي ذلك أن الناصر محمداً ارسل طاجار هذا إلى تنكز الحسامي يقول له : « قد اجبنا سؤالك في هذا الأمر فتقوم تأخذ اولادك

وتحضر بسرعة صحبة طاجار ليعبر بهم إلى بيوتهم فلا تتأخر »٠(الشجاعي ورقة ٦٠ ب) غير أن تنكز رد على هذه الرسالة السلطانية بقوله « السمع والطاعة ، روح انت وأنا أجهز حالي وآخذهم وأتوجه ، فقال له طاجار : ما معي مرسوم إني اروح الابك وهم صحبتي على البريد . قال له تنكز : بهذا ما يمكن لاني عابر بأولادي يعبروا على بنات السلطان وأحبّ أن آخذ صحبتي شيء يصلح لمثل هذا الحال ، وما يسعني أن آخذهم وأتوجه صحبتك ، لكني أنا أجهز حالي وأعبر عقيبتها على أثرك . فقال له طاجار ان كنت سامعاً مطيعاً للسلطان قوم اعبر صحبتي ، وإن كنت عاصياً عرفني . قال له تنكز : ايش هذا الكلام ، ما هذا جواب ولا خبر خير إن كان معك مرسوم بمسكي بسم الله وإلاّ ما هذا لهذا «وحصل بينهما كلام ومجاوبة في هذا الأمر وخرج نائب الشام، وكان أغلظ على طاجار في الكلام وقال: هذا وقت جواز للناس في الموت، حريق وغلاء، وعندنا ما يكفينا وأستاذك ماله نظر في مصالح المسلمين إلاّزواج ولعب وذكروا ان طاجار كان منتبذاً فقال له تنكز روح الليلة حط رأسك ونام واسع إلى غداً ارد عليك الجواب فخرج طاجار وهو منحرف فبات تلك الليلة وأصبح اخذ الجواب وخرج» (الشجاعي: ورقة ٦٠ ب - ٦١أ).

وهكذا يبدو أنه مما أثار غضب الناصر محمد أيضاً هو تأخير تنكز في إرسال ولديه إلى القاهرة كي يتزوجا ابنتي الناصر محمد (الشجاعي : ورقة ٥٨ ب) ، حيث يذكر المقريزي أن السلطان الناصر محمداً كتب إلى تنكز بأن « يجهز بناته اللاتي عقد لأولاد تنكز عليهن . فأجاب تنكز بالاعتذار عن تجهيز بناته بما شغله من عمارة ما أحرق »[٨١] .

وفي ذلك الوقت تقابل طاجار الدوادار مع قرمشي الحاجب الذي كان « عين السلطان يطالعه بما يتجدد » (الشجاعي : ورقة ٦١ أ) ، فأوصى قرمشي طاجار أن يعرف « السلطان أن يستدرك امر نائب الشام ، فإنه رايح وقد جهز اشغاله كلها ، ومتى لم يدركه فات فيه الأمر ، وقد عملت مجهودي ومسكته إلى اليوم ، وأنا أخشى انكم ما تلحقوه فإنه قد اتفق مع أكابر امراء الشام ، وحلفهم ، ونفق فيهم ، وأعطاهم الخيل والخلع ، وقد اشترى خمسمائة هجين وهم مربوطين في المرج ، وما قصد نية خير فعرف مولانا السلطان ذلك » (الشجاعي : ورقة ٦١ ب) .

وهكذا يظهر لنا تصرف بعض المقربين من تنكز ضده ، فعملوا على الكيد له عند السلطان في حين يظهر لنا واضحاً أن نائب الشام كان يتصرف تصرفاً عادياً لا غبار عليه ، ولم يظهر منه كان يتحرز في حديثه مع طاجار أو مع قرمجي ، الأمر الذي يدل على صدق نواياه واخلاصه في خدمة سلطنة المماليك .

ولكن من جانب آخر نلاحظ أن بعض المماليك الحسامية كانوا يشكون في تصرفات قرمشي وأنه « من جهة السلطان عينا عليك فلا تسمع منه » (الشجاعي : ورقة ٦١ ب) غير أن تنكز كان مطمئناً إلى قرمجي وطاجار بدليل ما حدث عندما أرسل السلطان طاجار إلى تنكز يقول له : « إنه ما بقي يطلبك إلى

مصر ولا يجهز إليك أميراً كبيراً حتى لا تتوهم » فقال : « أنا أتوجه معك بأولادي » فقال : « لو وصلت إلى بلبيس ردك ، وأنا اكفيك هذا المهم وأكون عندك بعد ثمانية أيام بنعلين جديدين » فثبطه بكلامه ، ويقال لو عصاه وسار إلى السلطان عذره ولم يلق إلاّ خيراً » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٥٨ ـ ٥٩)

وهكذا يظهر بشكل واضح وصورة متكاملة ان كلا من طاجار الدوادار وقرمجي ابن أقطوان الحاجب كان يغش تنكز الحسامي في النصيحة ، ويؤلف القصص الكاذبة عن سلوكه وتصرفه في سبيل تحقيق رغبتهما في التخلص من تنكز من ناحية ، والتقرب إلى السلطان لتحقيق طموحاتهما الشخصية من ناحية أخرى . وكانا يدركان كذلك أن السلطان يكن لتنكز أعمق مشاعر الاعزاز والتقدير ، ولذا اجتهد في البحث عن دليل يدين تنكز أمام الناصر محمد ، وقد كان ذلك في تفسير الأفعال التي قام تنكز بعملها في الآونة الأخيرة ، وأصبح بالتالي هدفهما هو اقناع الناصر محمد بأن كل ما أتاه تنكز من أعمال في تلك الفترة كان يخدم حركة العصيان التي كان يدبر لها في الخفاء ، وهو أبعد ما يكون عن الحقيقة .

كذلك يلفت نظرنا أنه عندما قرر الناصر محمد أن يرسل بشتاك الناصري (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) إلى دمشق كي يحضر أولاد تنكز إلى القاهرة ، اعتقد نائب الشام أن الهدف من ارسال بشتاك إلى دمشق هو القبض عليه ، وأن مسألة الزواج ليست إلاّ قضية تمويهية لتغطية الغرض الأساسي من قدوم بشتاك ، ولهذا اعتذر عن تسفير اولاده إلى القاهرة ، وعلى ذلك فانه لا ضرورة لارسال بشتاك إلى دمشق .

كذلك يذكر الشجاعي أنه بعد القبض على تنكز الحسامي :

« حضر الأمير ركن الدين بيبرس السلاح دار (ابن حجر، جزء ٢ : ٤١) وصحبه الأمير سيف الدين تنكز مقيداً طلوعه إلى قلعة الجبل نهار الثلاثاء قرب الظهر سلخ ذي الحجة سنة تاريخه فعبروا به إلى بيت قوصون[٨٢] بالقلعة وحضر إليه الأمير سيف الدين قوصون من عند السلطان برسالة وهو يقول له ايش هذا الحال الذي فعلته والأمر الذي قلته انت لطاجار الدوادار وايش الموجب لتفريقك على امراء دمشق الخيل والخلع وما الموجب لمشتراك خمسمائة هجين ورباطهم بالقرب منك بالمرج وتحليفك الأمراء فقال له تنكز : يا أمير سيف الدين كل الناس لا بدّ لهم من صديق ومن عدو ما خلا مني فاني لم يكن لي صديق ، وعاديت سائر الأمراء لأجل السلطان ولم اجد منهم ولا لي محب ولا صديق وسائر الأمراء تكرهني فمن هو الذي يحلف لي أو يتقرب مني ولو اردت هذا الأمر ما كان حالي هذا ولا اعتمادي مع الناس هذا الاعتماد فمولانا السلطان يكشف عن هذا الأمر وان وجد معي أحداً أو حلفت احداً فهو المحكم في دمي » (الشجاعي ، ورقة ٦٦ أ ـ ب) .

يمكننا أن نفهم من كلام الشجاعي طبيعة التهيؤ العسكري الذي كان يعيشه تنكز

الحسامي وقتذاك حيث كان على اتم الاستعداد لمواجهة اي طاريء قد ينجم نتيجة لتدهور العلاقات بينه وبين السلطان ، إلى جانت أنه عمل على حشد كل ما يملك من اسلحة وخيل . وعندما بلغت أخبار هذه الحشود العسكرية مسامع الناصر محمد ازداد قلقه من ناحية تنكز الحسامي ، وبات أشد ما يكون عزماً للقبض عليه . وعندما واجه قوصون تنكز بهذا الاتهام ، وسأله عن السبب الذي دعاه للقيام بتلك الاستعدادات الحربية ، كان جواب نائب الشام بأنه كان دائماً مستعداً بكل المظاهر العسكرية وكامل العدد الحربية ، وأنه لم يظهر أبداً أن الناصر محمداً كان مستاء من حالة التهيوء الحربي هذه ، فما باله يستنكرها الآن بعد أن اجتمعت نواياه ـ بتأثير من بعض الأمراء للتخلص من تنكز ؟ وفي هذا الموضوع يقول الشجاعي على لسان تنكز الحسامي :

« وأما الذي نقل عني قرمشي فهو معذور لأنه كان جنديا في صفد سايبا معثرا اخذته وأقمته وأمرته وجعلته حاجباً وحاكماً في دمشق فظلم الناس وعسفهم وخرج عن الطريق فرد غيبته وحصل له مني الاهانة و خستي مني فتحدث هذا القول ولو مد الله في اجلي جمعة اخرى سمرت قرمشي على جمل فقال له قوصون ايش ذنبه ، قال له تنكز : ما بقي حديثي يفيد فان قرمشي صار في هذا الوقت صادقاً وأنا ما بقي حديثي يسمع ، فايش فائدة الكلام والسكوت اولى قال له قوصون فايش هذا الحديث الذي قلته لطاجار وقال تنكز هذا وجهي ووجه طاجار تقابل بيني وبين كل من نقل عني شيء من سائر خلق الله تعالى ، إن كنت فعلت شيء أو قلت شيء يقابلوني عليه ، أما طاجار فانه عبر إلى وهو سكران وما يعرف ايش يقول قلت له روح ارقد وغداً اتحدث معك ، فخرج من عندي وهو منغاظ وهذا وجهي ووجهه ان كنت قلت له شيء ، وأما ، مشتري الهجن ، فأنا مات لي في هذه السنة الفا هجين اشتريت عوضهم خمس مائة هجين فهو كثير إذا اشتريت عوضاً عن الفين خمس مائة ، وتكشف عن هذا الحال إن كان صحيحاً أو كذباً ، وأما رباطي لهم بالمرج فعمري هجني مربوطة بالمرج في أول حضوري وإلى الآن وأنا في وجه العدو فلا آمن أن يحضر للسلطان شغل أو مهم أو يدهمنا عدو على غفلة ، فما تكون هجني وجمالي إلاّ قريبة وأنا على غنى مجهز مزاج العدد ، فهذا موجب مشتراتي الهجن ورباطهم بالمرج قريباً مني وأما اعطاي الخلع والخيل للأمراء فهذا بمرسوم السلطان قول له ياخوند انت ما رسمت بذلك لما شاورتك وقلت لك ياخوند الأمراء يروحوا معي إلى الصيد ويتعبوا وتموت خيلهم فمرسومك اعطيهم في بعض السنين فرساً فرسمت لي أن في كل سنة اعطي لكل امير فرساً وخلعة فما عملت هذا الأمر إلاّ بدستوره »
(الشجاعي : ورقه ٦٦ ب ـ ٦٧ ب) .

وهكذا نجد أن موقف تنكز الصارم تجاه بعض الأمراء في الماضي كان له الأثر الكبير في مناهضة هؤلاء له الآن بعد أن عزم السلطان على القبض عليه ، إذ اجتهدوا في تقوية نواياه ضد تنكز ، ومضاعفة عزائمه للتخلص منه ، ولم يفت ذلك الدور الذي لعبوه على تنكز ذي الخبرة الطويلة في مجال الحكم والسياسة

والتعامل مع الأمراء ، فكان هذا الحوار بينه وبين قوصون .

يشير العيني إلى واقعة اخرى أحدثت تغييراً واضحاً في نظرة الناصر محمد إلى تنكز الحسامي حتى أصبح دائم الشك فيه والريبة في كل ما يأتيه من تصرفات وأفعال ، بالاضافة إلى أن الناصر محمداً ارتاب في أن تنكز سيلجأ إلى سيس ليكون في ظل حماية حاكمها التتري الحسن بن تمرتاش (ت ٧٤٤ هـ / ١٣٤٣ م)[٨٣] ، وفي مناقشة هذا الموضوع يقول العيني :

« قبض السلطان عليه واعتقله باسكندرية وكان السبب في ذلك على ما قيل أن الشيخ حسن ابن تمرداش قد كان خائفاً منه خوفا عظيما فعمل دسيسة عند السلطان على هلاكه فبعث إلى الناصر محمد يقول إن تنكز يطلب الحضور عندي والمخاطرة عليك فتنكر له السلطان وتوهم فأمر بشتاك أن يتجهز هو ويلبغا اليحياوي وصحبتهما عشرون اميراً من الخاصكية ومعهم بنتان للسلطان إلى دمشق ليزوجوهما من ابني تنكز ، فأرسل تنكز إلى السلطان يقول لا فائدة في حضور هؤلاء فأنا احضر بولدي إلى الأبواب الشريفة ويكون التزويج والدخول هناك ، فجهز السلطان إليه طاجار الدوادار يقول له : إن السلطان ما بقي يطلبك إلى مصر ولا يجهز إليك أحداً فقال له تنكز : أنا أتوجه معك واولادي معي فقال طاجار : لو وصلت إلى بلبيس فهو يردك وأنا بعد ثمانية أيام عندك ، فخدعه بهذا الكلام ولو كان حضر عند السلطان لكان خيراً وكان تنكز تخاشن في تلك المرة مع طاجار وقابح معه ، فلما جاء طاجار إلى السلطان حرف الكلام وقلب عليه فتغير السلطان تغيراً عظيماً » (العيني ، مخطوط ، ٢٢٣٦٠ : ورقة ٤٠ أ)

ترى ما السبب الذي دفع الحسن بن تمرتاش ان يوقع بين تنكز الحسامي والناصر محمد بحيث تسوء علاقتهما ويصمم الناصر على التخلص نهائياً من نائب الشام،يقول ابن حجر شارحاً سبب ذلك أن الحسن بن تمرتاش « كان يتمنى أن يدخل الشام ويأخذها ، ويهاب تنكز ، فلم يزل يعمل الحيل إلى أن ارسل رسولاً إلى الناصر يقال له قاضي شيرازتاج الدين وأخبره على لسان الشيخ حسن أن تنكز طلب الحضور إلى عندي ، فاستوحش الناصر محمد من تنكز وكان سبب هلاكه ، فلما بلغه ذلك فرح وأراد التوجه إلى الشام فشغل عنها إلى أن مات في سنة ٧٤٤ هـ » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٩٦ - ٩٧) . وقد كان من نتيجة ذلك أن « شاع في تلك الأيام أن تنكز عزم على التوجه إلى بلاد التتار ، فطرقت سمع طاجار فبلغها السلطان مع ما ضمّ إليها بسبب ما عامله به تنكز من الازدراء ، فتغير الناصر »[٨٤] . وبهذا يتبين لنا أن حكم تنكز الحسامي في الشام كان يتميز بالقوة والهيبة خاصة بين البلدان المجاورة من الروم والتتار ، الأمر الذي أثار عداوة حكام تلك الدول ضد تنكز ، واشتدت رغبتهم في طرده من الشام كي يسهل لهم تحقيق مطامعهم فيها حيث كان من المستحيل أن يدخلوا الشام ويتمكنوا من انجاز اهدافهم فيها مع وجود تنكز الذي كان دائماً على اهبة الاستعداد الحربي لإنزال الهزيمة بأي حملة عسكرية

تتوجه نحو الشام . وبتغير السلطان على تنكز يكون الحسن بن تمرتاش قد نجح إلى حد كبير في تمهيد الطريق لحملته العسكرية التي كان يزمع ارسالها إلى الشام .

نهاية تنكز

ويحلل المؤرخ المعاصر الصفدي طبيعة الموقف الذي كان يعيشه تنكز الحسامي في الأشهر الأخيرة من حياته حيث كان الصفدي شاهد عيان لتلك الحوادث المتوالية والتي انتهت بالقبض على نائب الشام ، من ذلك قوله :

» ولما كان في آخر سنة اربعين وسبع مائة وكان الساحل محلا اراد السلطان أن يجهز بناته صحبة الأمير سيف الدين بشتاك إلى دمشق ليدخلن على اولاد تنكز ، فجهز يقول : ياخوند هذا الأمير بشتاك يجيء بجمع عظيم والساحل السنة محل ، وما يحمله الطريق ، وأنا احضر بأولادي ، ونعمل هذا المهم هناك ، وكان الناس قد ارجفوا أنه قد عزم على التوجه إلى عند الشيخ حسن تمرتاش ، وعند الله تجتمع الخصوم ، فما كان الجواب إلاّ أن حضر الدوادار وقال له السلطان يسلم عليك ، وقد حلف أنه ما بقي يدعك تروح إلى مصر ، ولا يجهز إليك أميراً كبيراً حتى لا يتوسم ، فقال أنا الآن اتوجه معك جريدة ومعي أولادي ، فثبطه وقال : ما يحتاج إلى هذا ، ولو وصلت إلى بلبيس ردك ، وأنا مثل اليوم عندك بتشريف جديد ولو توجه لكان خيراً . ولكن ليقضي الله امراً كان مفعولاً فتوجه من عنده طاجار وما عاد إلاّ مع الأمير سيف الدين بشتاك طشتمر حمص اخضر نائب صفد إلى دمشق ، وقبض عليه هو والفخري وأمراء الشام ، وقيد عند مسجد القدم وجهز سيفه إلى السلطان ، وتوجهوا به إلى مصر » (الصفدي ، مخطوط ، ٥٨٢٧ : ورقة ٢٠٣ب٢٠٤ أ) .

ولا شك أنه كان لاشاعة خروج تنكز الحسامي إلى التتار أثر كبير في تفاقم شكوك الناصر محمد نحو نائبه في الشام ، وزيادة نواياه في إمساكه قبل أن ينجح في تنفيذ محاولة الهرب هذه .

ومثلما كان الطمع في السيطرة على بلاد الشام وراء موقف حكام البلاد المجاورة ضد تنكز الحسامي ، كذلك كانت الغيرة والحسد هي الدافع الذي كان يحرك كبار الأمراء في البلاط الناصري من أجل اثارة غضب الناصر محمد وحنقه على نائب الشام ، (ابن خلدون ـ المجلد الخامس ـ ق ٤ ، ص ٩٤٨) ولعل من أهم ما كان يثير استياءهم هو حرص الناصر محمد على أن يستشير تنكز الحسامي في كل صغيرة وكبيرة من شؤون الدولة ، إلى جانب سؤاله المستمر لنائب الشام في سبيل أن ينصحه فيما يجب أن يفعله للوصول إلى حل مناسب لمشاكل الحكم ومسؤولياته . ونتيجة لجهود هؤلاء الأمراء المتواصلة اعتقد الناصر محمد أن تنكز الحسامي كان فعلاً يحضر نفسه للهرب من دمشق من أجل النجاة والحماية[٨٥] .

وقد تأكدت شكوك الناصر محمد من مسألة فرار تنكز من دمشق عندما حضر طاجار إلى البلاط الناصري وأبلغ السلطان أن تنكز « عزم على الخروج من دمشق[٨٦] » .

ونتيجة لذلك طلب السلطان بعد الصلاة الأمير بشتاك والأمير بيبرس الأحمدي والأمير جنكلي بن البابا والأمير ارقطاي والأمير ارنبغا امير جاندار والأمير قماري امير شكار والأمير قماري اخو بكتمر الساقي ، والأمير برسبغا الحاجب ، ومع هذه الأمراء السبعة ثلاثون امير طبلخاناه وعشرون امير عشرة ، . . . . ، وخمسون نفراً من مقدمي الحلقة وأربعمائة من المماليك السلطانية وجلس السلطان وعرضهم[٨٧] » .

وبهذا يظهر أن الناصر محمداً كان عازماً على محاربة تنكز بسبب ما حصل له من « حرج عظيم وانزعاج وقلق » (مغلطاي ، مخطوط ٩٨٣٥ : ورقه ١٣١ ب) علاوة على أن الناصر محمداً تخيل أن تنكز يهدد استقرار الحكم ، وقد يأتي بحركة تنهي وجود الناصر محمد نفسه في كرسي السلطنة ، ولذا طلب « امراء المشورة فطلعوا ودخلوا إليه وجلسوا للمشورة ، فوقع الاتفاق على حلف جميع العسكر المنصور وأن يجرد جماعة منهم ، فشرعوا في الحلف من هذا اليوم ، وكتب اوراق المجردين ، ونزلت الأوراق إليهم واهتموا غاية الاهتمام من سرعة الخروج » . (مغلطاي ، مخطوط ، ٩٨٣٥ : ورقه ١٣١ ب - ١٣٢أ) هذا إلى جانب أن الناصر محمداً بعث الأمير بهادر حلاوة من طائفة الأوجاقية إلى الطنبغا الصالحي نائب غزة ، وسيف الدين طشتمر نائب صفد ، وإلى امراء الشام بملطفات[٨٨] كثيرة ، وهكذا اهتم السلطان « بأمر تنكز اهتماماً زائداً »[٨٩] ، « وكثر قلقه وتنغص عيشه » (المقريزي ، جزء ٢ : ٤٦٩) .

إلى جانب ذلك يذكر الشجاعي أن الناصر محمد بن قلاون « كتب كتاباً للأمير سيف الدين طشتمر حمص أخضر نائب صفد وهو يعرفه فيه أخبار تنكز وما جرى منه ويقول له يا ابني ما خبّاتك إلاّ لمثل هذا الوقت فتبصر ايش تعمل وتركب بنفسك وتروح إلى دمشق وتجتمع بأمرائها وتتفقوا على مسك تنكز » . (الشجاعي مخطوط، ٩٨٣٣ : ورقة ٦٢ ب - ٦٣ أ) .

في الحقيقة يصعب علينا أن نصدق فكرة هروب تنكز إلى التتار أو إلى الروم من أجل عقد حلف معهم ضد سلطنة المماليك إذ إنه يظهر بشكل واضح في ضوء هذه الدراسة أن تنكز الحسامي كان دائم الاخلاص في القيام بواجباته ومسؤوليات منصبه على أحسن وجه ، كما كان شديد الطاعة والولاء للسلطان الناصر محمد ، واستمرت العلاقات الودية بينهما طوال الثمانية والعشرين سنة التي قضاها في نيابة الشام حتى الأشهر القليلة التي سبقت القبض عليه . وعلى ذلك فإنه لم يكن هناك سبب على الاطلاق يجعل تنكز يفكر ويخطط من أجل اللجوء إلى أي مكان . أما فيما يختص بتهيئة قلعة جعبر لكي تكون مناسبة للجوء إليها وقت الضرورة ، فإن هذا الأمر يعتبر رد فعل طبيعي يقوم به تنكز في سبيل حماية نفسه ضد استعدادات الناصر محمد لامساكه والتخلص منه ، أما بالطرق

الديبلوماسية ، وأما بالقوة العسكرية . ومما يؤكد رأينا هذا رفض تنكز الحسامي اقتراح مملوكيه جنغاي وطغاي للفرار إلى قلعة جعبر عندما أدركوا أن كلا من طاجار وقرمشي كان يدبر مؤامرة للايقاع بتنكز والاستفادة من هذه القضية لتحقيق مطامعهما الشخصية .

وعلى ذلك تضافرت العوامل ضد مصلحة تنكز ، وبدأ يظهر في صورة المتآمر ضد السلطان والسلطنة ، وإنه لابدّ من القبض عليه .

ونتيجة لذلك جهز الناصر محمد جيشه بقيادة جنكلي البابا (ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٦ م) ، وبشتاك الناصري ، وأرقطاي القفجاقي (ت ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م) ، وقماري اميرشكار (ت ٧٤٦ هـ / ١٣٤٥ م) ، والأمير برسنبغا (ت ٧٤٢ هـ / ١٣٤١ م) وطشتمر الساقي (ابن حجر ، جزء٢ : ٣٢٠) لكي يسير هذا الجيش إلى دمشق لمحاربة تنكز الحسامي[٩٠] .

ولا شك أنَّ هذه الاستعدادات العسكرية تدل دلالة واضحة على مدى تخوف الناصر محمد خشية أن يقوم تنكز بمحاولة ناجحة تطيح بحكمه وسلطانه ، كما توضح من جانب آخر مدى القوة الحربية التي كان يتمتع بها تنكز في الشام وما كان تحت يده من جند وسلاح ومال وخيل .

إلى جانب ذلك « كان السلطان كثير التخيل ، فتوهم أن سائر الأمراء مع تنكز وأن الشام قد خرج من يده ، فانزعج لذلك انزعاجاً ، وورد عليه من هذا الأمر خطباً جسياً » (الشجاعي ، مخطوط ، ٩٨٣٣ : ورقه ٦٢ أ) .

كذلك تجدر الاشارة إلى أن الناصر محمداً « أخرج موسى بن مهنا لتجهيز العربان واقامته على حمص »[٩١] .

أما بالنسبة للجيش المرسل إلى دمشق للقبض على تنكز الحسامي فان الناصر محمداً :

« رسم أن يكون خروجهم نهار الثلاثاء بعد اربعة أيام ونفق فيهم كل امير مقدم الف الف دينار والأمير طبلخانة اربع مائة دينار ومماليك السلطان كل واحد اربع مائة درهم ، ووقعت في القاهرة هجة عظيمة وجلبة كبيرة ، وكانت حركة مالها نظير غير أن الله عز وجل اطفأ هذه الثائرة وأخمد هذه النار القائمة ، وكان الرجوع إلى خير وتجهزت الأمراء والجند في هذه المدة اليسيرة وخرجوا نهار الثلاثاء ثالث وعشرين من ذي الحجة ومقدمهم جنكلي البابا » . (الشجاعي ، مخطوط ، ٩٨٣٣ : ورقه ٦٢ ب) .

وهكذا غادر الجيش المعد لامساك تنكز القاهرة في ٢٣ ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ / حزيران ـ يونية سنة ١٣٤٠ م[٩٢] .

وفي نفس الوقت كتب الناصر محمد « لسائر العربان إلى مطر وإلى عيسى ورملة وبني مهدي أن يأخذوا عليه الطرقات ، وملأها عليه خيلاً ورجالاً » . (الشجاعي : ورقه ٦٣ أ) .

كذلك استلم الأمير سيف الدين طشتمر نائب السلطنة في صفد مرسوم السلطان « بأن يتوجه سريعاً إلى مدينة دمشق ليقبض على الأمير سيف الدين تنكز نائب الشام فتوجه من

وقته في جماعة من مماليكة » (مغلطاي ، مخطوط ٩٨٣٥ : ١٣٢ أ) منفذاً بذلك اوامر السلطان في الوصول إلى دمشق في الوقت المناسب ، وأن يتم ذلك بشكل مفاجيء بحيث لا يطلع أحداً على خطته في مباغتة تنكز وامساكه[٩٣] . وهذا كله يبين بوضوح بالغ وبطريقة غير مباشرة قوة السلطة التي كان يحظى بها تنكز في الشام ، وما كان يتمتع به من مكانة عالية ومنزلة رفيعة . كما يظهر لنا خشية الناصر محمد من أن يفشل جيشه في تحقيق الهدف الذي أتى من أجله ، فيتمكن تنكز من الهرب ، وتمنى هذه المحاولات السلطانية بالفشل والخيبة .

بالاضافة إلى هذا قدم بهادر حلاوة الأوجاقي « على الأمير الطنبغا الصالحي[٩٤] نائب غزة بملطف ، وفيه أنه استقر في نيابة الشام عوضاً عن تنكز ، وأن العسكر واصل إليه ليسيروا به إلى دمشق » (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٤٦)

ومن الجدير بالذكر أن :

« الطنبغا نائب غزة هو عدو تنكز الذي كان تنكز سعى في امره حتى عزله السلطان من نيابة حلب وولاه نيابة غزة قبل تاريخه . ثم سار حلاوة الأوجاقي إلى صفد وإلى الشام ، وأوصل الملطفات إلى امراء دمشق ثم وصلت كتب الطنبغا الصالحي إلى امراء دمشق بولايته نيابة الشام » (ابن تغرى بردى جزء ٩ : ١٤٧) .

وقد انتهى الأمر بأن :

« ركب الأمير طشتمر الساقي المعروف بحمص اخضر نائب صفد إلى دمشق في ثمانين فارساً ، واجتمع بالأمير قطلوبغا الفخري ، وسنجر البشمقدار ، وبيبرس السلاح دار ، واتفق ركوب الأمير تنكز في ذلك اليوم إلى قصره فوق ميدان الحصى في خواصه للنزهة ، وبينما هو في ذلك إذ بلغه قدوم الخيل من صفد ، فعاد إلى دار السعادة وألبس مماليكه السلاح ، فأحاط به في الوقت امراء دمشق ، ووقع الصوت بوصول نائب صفد ، فخرج عسكر دمشق إلى لقائه وقد نزل بمسجد القدم ، فأمر نائب صفد جماعة من المماليك الأمراء أن يعودوا إلى تنكز ويخرجوه إليه ، فدخل عليه جماعة منهم تمر الساقي[٩٥] ، والأمير طرنطاي البشمقدار[٩٦] ، وبيبرس السلاح دار ، وعرفوه مرسوم السلطان فاذعن لقلة اهبته للركوب ، فإن نائب صفد طرقه على حين غفلة باتفاق امراء دمشق ، ولم يجتمع على تنكز إلاّ عدة يسيرة من مماليكه ، فلذلك سلم نفسه[٩٧] » .

وهذه الواقعة توضح أن تنكز قد فوجيء فعلاً بقدوم طشتمر من صفد بجيشه ، كما أنه فكر في الحال أن يجهز مماليكه بالسلاح لمحاربة طشتمر ، (ابن شاكر ، مخطوط ، ٢٩٢٣ : ورقه ٤٤ ب) ولكنه ادرك عدم جدوى المحاولة بسبب ضعف مركزه عسكرياً وسياسياً بعد أن اتخذ اولئك الأمراء كافة الاحتياطات اللازمة للحيلولة دون ذلك ، وكأنهم كانوا يعلمون بأن تنكز ليس بتلك الشخصية الضعيفة التي من الممكن أن تهزم سريعاً ، ولكن من ناحية ثانية كان تنكز يتصف بالحكمة ، وبعد النظر ، ولذا فكر أنه

من الأفضل الاستسلام فيحفظ بذلك ارواح المسلمين وأموال الدولة .

وبذلك تمّ القبض على تنكز الحسامي في يوم الثلاثاء ٢٣ ذي الحجة سنة ٧٤٠ هـ / حزيران - يونية ١٣٤٠ م على يد المماليك الناصرية[٩٨] ، بقيادة طشتمر حمص أخضر نائب صفد[٩٩] . ويصف الشجاعي اللحظات الأخيرة التي عاشها تنكز الحسامي في دمشق فيقول أن طشتمر غادر صفد وفي صحبته :

«أربعين مملوكاً من مماليكه وقصد دمشق فوصل إليها ثاني يوم الظهر نهار الثلاثاء وكان تنكز في ذلك الوقت في قصره الذي بميدان الحصى فحضر إليه بعض مماليكه وعرفه أنه رأى خيلاً كثيرة من ناحية صفد، فركب وعبر لدمشق وقال لطغاي وجنغاي ما ترون فقالوا له هذا الذي كنا نحسبه وعرفناك أن تنجو بأرواحنا ما سمعت وسمعت من قرمشي حتى أوقعك وايانا في البلاء فلم يجبهم وعبر لدمشق وجلس بدار السعادة وأراد أن يشد خيله فوجد الاسطبل قد أحاط به العسكر فوقف بميدان الحصى بظاهر دمشق» (الشجاعي: ورقة ٦٣ أ) .

ثم بعد ذلك ارسل طشتمر نائب صفد .

« مملوكه إلى قطلوبغا الفخري وصحبته كتاب السلطان بمسك تنكز وكان قطلوبغا في ذلك الوقت في بيته فعبروا إليه وعرفوه أن مملوك طشتمر على الباب يختار أن يعبر، يجتمع بالأمير فقال قول له ايش لك شغل ومارضي يجتمع به فقال لهم معي كتاب السلطان للأمير فقال قطلوبغا خليه يرسله حتى أقف عليه ، فأعطاهم الكتاب عبروا به إلى قطلوبغا فلما قرأه وعلم مضمونه رسم للملوك بالعبور إليه واستخبر منه عن مخدومه في أين تركه فعرفه أنه واقف بميدان الحصى ، فحينئذ ركب قطلوبغا وشد سيفه وتركاشة في وسطه وطلب والي المدينة والحجاب وغلق ابواب المدينة جميعها ولم يخلّ منها مفتوحاً غير باب النصر ورسم على اسطبل تنكز جماعة وما خلي احداً من مماليك تنكز يصل إلى الاسطبل وغلق باب الاسطبل ثم توجه إلى طشتمر واجتمع به وأرسل طلب الامراء الذين لهم الكتب فحضرت الأمراء مثل سنجر الجمقدار وبيبرس السلاح دار وقرمشي الحاجب وتمر الساقي وقال لهم : السلطان ارسل لكم كتباً فهل انتم سامعون مطيعون لما يرسم فقالوا بأجمعهم نعم يا خوند نحن مماليك السلطان متمثلين اوامره واعداء لمن عاداه وحربا لمن حاربه فحينئذ اخرج إليهم الكتب وقرأها عليهم بمسك تنكز فقالوا سمعا وطاعة ها نحن بين يديك فأرسل طشتمر احد مماليكه وبهادر البريدي الذي حضر بسببه إلى تنكز يطلبوه فعبر الاثنان إليه وهو بدار السعادة بدمشق فعرفاه أن الأمير سيف الدين واقف بميدان الحصى وأحضر على يده كتاباً من مولانا السلطان وقد طلبك تحضر إلى عنده وتقف على الكتاب وتعمل بمضمونه فقال لهم تنكز هذه دار السلطان وإذا حضر كتاب ما يحضر إلاّ لعندي خلو طشتمر يجيء عندي حتى نقرأ كتابه ونعمل بما فيه وما رضي يروح معهم وردّ المذكورون الجواب على طشتمر فاغتاظ طشتمر وقال والله إن كان ما يحضر وإلاّ عبرت ضربت رقبته في بيته فعبر إليه تمر

السافي وقال له ياخوند انت تعلم الناس العقل وأنت تعلم أن أحداً ما يعصى على استاذه وطشتمر وجل وجد في دمشق الجميع راكبين وما بقيت تنجو منهم وأنت فمالك ذنب وتعمل لك ذنب وصدقات السلطان كبيرة فاطرق تنكز مليا ثم نهض وقال احضروا لي فرساً اركب وعبر إلى عند حريمه يلبس قماشة فعندما عبر إليهم وعرفهم الخبر قامت العيطة بداره وصرخت المماليك والجواري والأولاد وقعد عندهم يودعهم ويبكي إلى قرب العصر ، فأرسل طشتمر يستعجله فخرج وعليه قباء فوقاني صوف ابيض وركب اكديش أدهم وشد سيفه وخرج إلى ميدان الحصى في خمسة أو ستة مماليك ، وعند وصوله إلى عند الأمراء سلم عليهم وقال طشتمر ايش رسم السلطان قال له طشتمر مرسوم السلطان إنك تروح إليه فنزل عن فرسه وقال السمع والطاعة فكيف رسم إنني اروح بسيف وإلا بغير سيف قال له طشتمر بغير سيف فحل حينئذ سيفه واعطاه لهم ونزلت الأمراء وقعدوا على ثبات السروج واحضروا له قيداً قيدوه في الوقت والساعة وقال طشتمر لبيبرس السلاح دار: مرسوم السلطان أنك تأخذه وتروح وقال للأمراء اشهدوا إني سلمته له ورجع طشتمر في نهاره إلى صفد وسافر تنكز من ساعته آخر نهار الثلاثاء إلى ديار مصر صحبة بيبرس السلاح دار ثالث عشرين ذي الحجة سنة أربعين». (الشجاعي: ورقة ٦٣ - ٦٤ ب)

ومن ثم رحل العسكر المملوكي وبصحبته تنكز الحسامي مقيداً إلى القاهرة[١٠٠] وفي الحال اسرع بهادر حلاوة نحو القاهرة ليبشر السلطان أنه تمّ القبض على تنكز ، فوصل إلى بلبيس ليلاً ، والعسكر المملوكي نازل بها ، فأخبر الأمير بشتاك بالأنباء السارة ، ثم توجه لمقابلة الناصر محمد ، وأعلمه الخبر « فسر سروراً كثيراً » ، [١٠١] فكتب الناصر محمد بعودة العسكر من بلبيس على الفور ، وأن يتوجه بشتاك وأرقطاي وبرسنبغا الحاجب إلى دمشق للحوطة على مال تنكز وممتلكاته ، وأن يستقر الأمير بيغرا الجاندار والأمير قماري في الصالحية بانتظار تنكز [١٠٢] كذلك تم في نفس الوقت امساك طغاي وجنغاي «واعتقلوهما بقلعة دمشق». (الشجاعي: مخطوط، ٩٨٣٣: ورقة ٦٥ أ).

ومن الجدير بالذكر أنه حتى عندما جاءت الأخبار بالقبض على تنكز فإن الناصر محمداً رغم فرحته « بقي في تشويش عظيم وقلق زايد وداخله الوهم ، وظن أن في جنسه من له باطن مع تنكز ، وخشى أن يجاهر عليه أحد منهم فرسم بتحليف الأمراء ومقدمين الحلقة وسائر الحلقة وطلب الجند الغائبين في اقطاعاتهم من سائر اقليم مصر ، وتوجهت البريدية إلى ولاة الأقاليم بأن لا يخلّوا في البر جندياً، وطلب الأجناد جميعهم يعبروا القاهرة وحلفوهم بالقصر الأبلق، ونسخة اليمين أن يكونوا مع السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون قاتلين ومقتولين ، عدوا لمن عاداه وسلما لمن سالمه وأن يطيعوه مدة حياته ولورثته بعد وفاته ، ورسم لسائر الجيش والأمراء والحلقة ومماليك السلطان أن يكونوا على وعى ويتجهزوا ويزيحوا اعذارهم ومتى طلبوا في ليل أو نهار يخرجوا ، فتجهز الجيش جميعه من وقت واحد ، وحصل بالقاهرة هرج عظيم ، وغلب سائر عدد الجند بحيث الذي

كان بدرهم انباع بثلاثة لأن سائر الجند تجهزت في وقت واحد ، وأحضر للسلطان هجنه وخيله وفرق على مماليكه الخيل ، واستعرضهم وكل من اعتذر بعذر ازاحه من خيل وعدة اعطاه، وكان هذا الأمر في وقت قبض المغل ، فلم يمكن احداً من الجند أن يخرج إلى اقطاعه ولا يقبض مغله وحصل للجند عزّ عظيم واستمر الحال كذلك مدة تسعة أيام إلى حين ورد بهادر حلاوة البريدي الذي توجه لطشتمر وكان وروده إلى السلطان نهار السبت السابع والعشرين من ذي الحجة سنة أربعين وأخبر السلطان بمسك تنكز وما جرى لطشتمر معه وكيف كان مسكه ففرح السلطان بذلك فرحاً عظيماً ما عليه مزيد وأراد أن يدق البشائر فمنعته الأمراء الخواص عن دق البشائر فأخلع على البريدي ورسم له بأمرة عشرة وأرسل إلى طشتمر كتاباً يشكره على فعله ويثني عليه فيما دبره . » (الشجاعي : ورقة ٦٥أ، ب).

بل لقد بلغ الأمر أنه عندما قدم بهادر حلاوة وصحبته أزدمر[١٠٣] مملوك الأمير سيف الدين بشتاك واخبر السلطان بالقبض على تنكز حصل له « مسرة عظيمة بذلك وأخلع عليهما خلع كاملة بكلاتب زركش ، وأعطى ازدمر حياصة ذهب والبريدي مائة دينار عين » (مغلطاي ، مخطوط ، ٩٨٣٥ :ورقة ١٣٢ ب ـ ١٣٣أ)

كذلك كان الناصر محمد اشد مايكون رغبة في الانتهاء من هذا الموضوع في أسرع وقت ، ولذا ارسل ازدمر مملوك الأمير سيف الدين بشتاك إليه بمرسوم بأن يتوجه إلى الشام المحروس وصحبته من الأمراء مقدمي الألوف الأمير سيف الدين الحاج ارقطاى والأمير سيف الدين برسبغا الحاجب ، ومن امراء الطلبخانات خمسة وهم بيغرا، طقتمر الصلاحي[١٠٤] طيبغا المجدي[١٠٥] قطلوتمر[١٠٦] بكا الخضري، وأن يعود باقي العسكر المجرد إلى القاهرة المحروسة فتوجه الأمير سيف الدين بشتاك ومن ذكر صحبته إلى الشام حسب المرسوم الشريف وعاد باقي العسكر المنصور إلى القاهرة فوصلوا إليها يوم الأحد ثامن عشرين ذي الحجة ، فكان مدة المغيبة خمسة أيام وكفى الله المؤمنين القتال » ، . (مغلطاي ، مخطوط : ورقه ١٣٣ أ)

ومن الغريب حقاً أن نرى أنه عندما وصل تنكز الحسامي إلى مصر يوم الثلاثاء ٨ محرم سنة ٧٤١ هـ/ تموز ـ يولية سنة ١٣٤٠ م وهو متضعّف صحبة الأمير بيبرس السلاح دار ، أنزل بالقلعة في مكان ضيق ، « وقصد السلطان ضربه بالمقارع »[١٠٧] فقام الأمير قوصون في الشفاعة له « حتى اجيب إلى ذلك »[١٠٨]

بالاضافة إلى ذلك يذكر ابن حجر أنه عندما دخل تنكز الحسامي القاهرة : « أمر السلطان جميع الأمراء والمماليك أن يقعدوا له بالطرقات من حذاء باب القلعة ، وأن لا يقوم له أحد ولم يجتمع به ، بل كان قوصون يتردد اليه في الرسلية حتى قال له : « ابصر من يكون وصيك » فقال : « قل له خدمتك ونصيحتك لم تترك لي صديقا » (ابن حجر ، جزء ٢ : ٦٠)

كذلك مما يلفت النظر أنه حينما وصل تنكز إلى القلعة لم يقابله السلطان « ولم

يستحضره ، وإنما كان قوصون يتردد في الرسلية». (الصفدي، مخطوط، ٥٨٢٧: ورقة ٢٠٤ ب)

ثم بعث السلطان الناصر محمد إلى تنكز يهدده حتى يعترف بما يملك من المال ، ويقر على من كان موافقاً على العصيان من الأمراء ، فأجاب تنكز بأنه لا مال له سوى ثلاثين الف دينار وديعة عنده لايتام بكتمر الساقي ، وأنكر أن يكون خرج عن الطاعة[١٠٩] .

وبناء على اوامر الناصر محمد أخرج تنكز الحسامي من القلعة ليلاً إلى الاسكندرية في حراقة بالنيل صحبة المقدم ابراهيم بن صابر[١١٠] الذي قام بقتله هناك يوم الثلاثاء ١٤ محرم سنة ٧٤١ هـ / تموز - يولية سنة ١٣٤٠ م[١١١] .

« ولما كان في أوائل شهر رجب (سنة ٧٤٤ هـ) حضر تابوته من الاسكندرية ودفن في تربته بجوار جامعه » .[١١٢] وقد كانت « مدة اعتقاله اثني عشر يوماً فقط . » (مغلطاي: ورقة ١٣٤أ).

ويجدر بنا هنا أن نشير إلى قول أبي المحاسن من أن الناصر محمداً كان يخطط للقبض على تنكز منذ ثمان سنوات قبل أن ينجح في تحقيق هدفه ،وأن الناصر محمداً كان ينتظر طيلة هذه الفترة الطويلة من أجل ظهور الفرصة الملائمة لامساك تنكز[١١٣] .

مما لا شك فيه أن في عبارة أبي المحاسن شيء من المبالغة حيث تتفق الكتابات المملوكية المعاصرة لهذه الحقبة أن الناصر محمداً لم يقرر القبض على تنكز الحسامي سوى في الأشهر الأخيرة من سنة ٧٤٠ هـ / ١٣٤٠ م ، حينما جعلت الظروف هذا الأمر يبدو ضرورياً بالنسبة لأهداف الناصر محمد وخططه الرامية إلى ايجاد حكم مستقر في سلطنة المماليك ، فبدا له ، كما أوحى إليه بعض الأمراء ضرورة امساك تنكز حيث اضحى وجوده خطراً يهدد استمرار حكم الناصر محمد . كذلك يبدو واضحاً في كتابات المؤرخ المعاصر الشجاعي أن الناصر محمداً بدأ يرتاب في تصرفات تنكز وأفعاله ، وبالتالي تغيرت مشاعره نحو نائب الشام الذي لم تخف عليه شكوك الناصر محمد ، فأخذ يرتب الأمور من أجل النجاة بنفسه ، وهنا اجتهد الناصر محمد في وضع خططه ضمن اطار التنفيذ الفعلي بحيث يتم القبض على تنكز في اقرب وقت . (الشجاعي : ورقة ٥٩ أ - ب ، ٦٢ أ - ب)

وفي أواخر شهر محرم سنة ٧٤١ هـ / تموز - يوليه سنة ١٣٤٠ م قدم دمشق الأمير بشتاك والأمير الطنبغا الصالحي للحوطة على اموال تنكز ، وقد وجد له الكثير من الممتلكات والذهب والدراهم والتحف السنية والحوائص والجواهر واللؤلؤ والثياب والهجن والخيل والجمال حيث تمّ مصادرة كل ذلك لصالح الخزانة السلطانية[١١٤] .

وقد قدر ذلك « بمائة وخمسين حمل جمل ذهب ودراهم وقماش وعدد وصحبتهم أيضاً خيل ومماليك ، وذكر أن المال المحضر ثلثمائة الف وخمسة وثلاثين الف دينار ، ومن الدراهم الف الف وخمس مائة الف وخمسة

وثلاثون الف درهم »[١١٥] .

وبلغ من كثرة ما وجد له أنه « عملت لبيع حواصله عدة حلق ، وتولى البيع فيها الأمير الطنبغا الصالحي نائب دمشق والأمير ارقطاي وهما أعدي عدو لتنكز » (أبن تغرى بردى جزء ٩ : ١٥٢)

ثم قبض على الأمير صاروجا المظفري والأمير الجيبغا العادلي ، كما طلب من مملوكي تنكز جنغية وطغاي تسليم ما لديهما من المال ، وعانا اشد العقوبة ، وقبض على اولادهما وحواشيهما ، وصودرت كل أملاكهما وأموالهما ، ثم وسطا بسوق الخيل ، وأكحل صاروجا[١١٦] .

كذلك وجد لتنكز عدد كبير من الدور والاسطبلات والحوانيت والقيساريات والحمامات والأفران والأحواض والبساتين والجنائن والمزارع والبقاع في مختلف المدن والولايات الشامية مثل دمشق وحمص وبيروت ومنطقة البقاع وغيرها . (ابن تغري بردى ، جزء ٩ : ١٥٤ - ١٥٨) إلى جانب ماله من « الأملاك على وجوه البر والأوقاف في صفد وعجلون والقدس ونابلس والرملة والديار المصرية » . (ابن تغرى بردى ، جزء ٩ : ١٥٨) وبعد الاستقصاء الدقيق لكل ما يملك تنكز ومصادرته « توجه الأمير بشتاك من دمشق وقدم قلعة الجبل ، فخلع عليه وأكرم اكراماً زائداً . ثم قدم الأمير قطلوبغا الفخري باستدعاء فخلع عليه ، وأنعم عليه بتقدمة الف . ثم قدم الأمير طشتمر حمص اخضر نائب صفد ، فخلع عليه بنيابة حلب ، عوضا عن طرغاي[١١٧] الجاشنكير » (المقريزي جزء ٢ : ٥٠٨) .

وعلى ذلك نجد أن الظروف السيئة تكاتفت من اجل أن يفقد تنكز في النهاية حريته وحياته ، ولو تفحصنا هذه الأحوال مجتمعة لوجدنا أن السبب الأول يمكمن فيما وصل إليه تنكز من ثروة وقوة وسلطة وصلاحيات مطلقة في الشؤون السياسية والعسكرية على حد سواء ، فبدأت الشكوك تساور فكر الناصر محمد وتمتلك عليه أحاسيسه ومشاعره وقد زاد من هذا التيار النفسي لدى الناصر محمد لتحقيق الرغبة في القبض على تنكز تلك الاستعدادات التي قام بها تنكز للذهاب إلى قلعة جعبر حيث عمل بجد ونشاط على تهيئة المكان ليكون ملائماً لاستقباله وقت الضرورة ، بالاضافة إلى هواجس الناصر محمد من أن يصل تنكز إلى كرسي السلطنة بعد وفاة الناصر محمد ، وبذلك يحرم أولاده من الحكم والسلطنة ، كما فعل والده قلاون مع اولاد الظاهر بيبرس خاصة وأن تنكز وصل في تلك الوقت إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليه أمير مسؤول في سلطنة المماليك من السلطة العليا المطلقة . ومن ناحية أخرى لعب أرتنا نائب بلاد الروم دوراً كبيراً في تأليب الناصر محمد ضد تنكز حيث كان الجميع على ادراك تام بأن الناصر محمداً كان دائم الشك ، سريع الارتياب ، فعملوا على استغلال نقطة الضعف هذه في شخصية الناصر محمد ، واجتهدوا في توجيهها للايقاع بتنكز وما كان يحظى به من عز وقوة . ويبدو أن الناصر محمداً بدأ يغير من هذه السلطات والمركز العالي الذي بلغه تنكز في

بلاد الشام، وبدأ يحس بهذا الحسد عندما رفض تنكز طلب الناصر محمد في الافراج عن مملوكه جوبان ، ولعل تنكز كان يرى مصلحة في ذلك ، ولكن الناصر محمداً كان ابعد كثيراً من أن يقبل ذلك او يصدقه . ومن ثم اشتد هذا الحسد والغيرة، بل وتحول إلى نوع من التحدي الصامت بين الطرفين ،

هكذا كان يعتقد الناصر محمد على الأقل عندما احرق تنكز اولئك النصارى الذين

تسببوا في حريق المسجد الأموي وغيره من المرافق العامة في دمشق ، ورفض ارسال المال الذي تمّ جمعه من النصارى إلى البلاط الناصري وصرفه على اصلاح الخراب والدمار الذي احدثه الحريق . وعلى ذلك زاد الوضع سوءاً ، وتوترت العلاقة بين الجانبين خاصة عندما رفض تنكز ارسال ولديه أحمد ومحمد إلى القاهرة للزواج بابنتي الناصر محمد ، فأحس الأخير أن شكوكه ومخاوفه في محلها ، وأن تنكز يدبر مؤامرة للاطاحة بحكم اسرة قلاون . ومما أعطى الصورة هذا الطابع المطابق لهواجس الناصر محمد أن تنكز اشترى خمسمائة هجين ، وفرق الخيول على امراء دمشق ، وربط الهجن في المرج وكأنه يستعد للثورة ، أو القيام بحركة انفصالية من أجل الاستقلال ، أو حتى مجرد الهرب إلى الحسن بن تمرتاش حاكم سيس ، كما كان هذا الأخير يدعى .

وفي الحقيقة لقد كان الوضع ملائماً كثيراً لكي يستقل تنكز ببلاد الشام ، فهل كان تنكز بالفعل يفكر بذلك ؟ وهل كان يخطط للقيام بحركة انفصالية ويقيم في بلاد الشام حكماً مستقلا عن الحكومة المركزية لسلطنة المماليك في مصر ؟ في الجواب على هذه التساؤلات يصعب علينا أن نؤيد صحة وجود اتجاه من هذا القبيل عند تنكز الحسامي ، وكل ما في الأمر أن اخلاص تنكز الحسامي للدولة المملوكية والمصلحة العامة منعه من مجاملة السلطان الناصر محمد على حساب ذلك ، وكان يرفض تلك المطالب الشخصية بنوايا صادقة ، ولم يكن يعلم أن ذلك سيفسر ضد وضعه في خدمة السلطنة ، وسيؤدي بالتالي إلى القبض عليه وسجنه ثم قتله .

ورغم أننا نعلم تمام العلم بأنه كان لدى تنكز كل العناصر التي يمكن أن تؤمن له حكماً مستقلاً ونجاحاً في الانفصال عن دولة الناصر محمد بن قلاون ، إلاّ إن ذلك لم يكن ضمن الأهداف التي بذل حياته وجهوده من أجلها . بل إننا في الحقيقة نعجب حينما نرى أن مخاوف الناصر محمد قد بلغت شأوا كبيرا ، فأضحى شديد الخوف من تنكز ، وما قد يقوم به من تحركات معادية ، فعمل نتيجة لذلك على الحيلولة دون تنفيذ هذا الأمر حيث تكررت جلسات الناصر محمد أكثر من مرة مع الأمراء الخاصكية للمشورة ، كما عمل على اعلان ولاية العهد لولده أبي بكر ، وحرص كثيراً على تحليف المماليك والعسكر فرداً فرداً لتأكيد نوازع الولاء له ولدولته ولولي عهده .

إلى جانب أنه بعث إلى البدو لأخذ الطرقات على تنكز خشية أن يهرب إلى بلاد الروم أو المغول . ولقد بلغت مخاوفه أنه ارسل ملطفات إلى الأمراء في دمشق خشية أن يناصروا تنكز في ثورته ضد دولة الناصر

محمد . وما هذه التحفظات والاستعدادات إلاّ دليل قاطع على أن تنكز كان يتمتع بقوة كبيرة قد تكون ـ فعلاً ـ مصدر خطر على حكم الناصر وسلطانه . إلى جانب أنها تبرهن على شدة هواجس الناصر محمد وشكوكه ، وفداحة مخاوفه من تنكز ، وما قد يقوم به من الاطاحة بحكمه ودولته . وكذلك نلاحظ أن مخاوف الناصر محمد وشكوكه قد تحولت إلى نوع من اليقين والتأكيد المطلق بأن تنكز يخطط للاطاحة بدولته أو الانفصال بولاية الشام دولة مستقلة عن سلطنة المماليك ، خاصة وأن نائب الشام كان يتمتع بشعبية كبيرة في ولايته ، كما يحظى بتأييد كبار الامراء فيها . ومن هنا جاءت فكرة الناصر محمد في ارسال الملطفات إلى نواب الولايات الشامية وأمراء دمشق لكسب ثقتهم وولائهم من ناحية ، والحيلولة دون مساعدتهم لتنكز الحسامي فيما يهدف إلى تنفيذه من خطط من ناحية أخرى . ولكن السؤال الذي يجب أن يطرح هنا هو : ما رأي تنكز في غضب الناصر محمد عليه ؟ وما الذنب الذي يعترف أنه اقترنه ؟ وما الدافع الذي يستند عليه في تبرئة نفسه مما نسب إليه .

يعتقد تنكز الحسامي أن كل ما وقع له يعود إلى طبيعة منهج الناصر محمد في الحكم وسياسته نحو كبار الأمراء في الدولة حتى المخلصين منهم ، فلم يستطع أحد أن يحمي نفسه من ذلك التيار النفسي الذي كان يسيطر على أفكار الناصر محمد ، ورغم محاولة البعض منهم الحيلولة دون وقوع ذلك لهم بما قدموه من جليل الأعمال في سبيل مصلحة الدولة ، إلاّ إن جهودهم ذهبت هباء ، ولا أدل على ذلك من عبارات تنكز نفسه حيث يقول :

« وأنا فما عملت شيء ولا لي ذنب واحد اعرفه قال له الأمير سيف الدين قوصون ما هو ذنبك الذي تعرفه قال له تنكز ذنبي إنني كبرت وطالت مدتي وانتظر وفاتي فلم امت وكل نظراتي من خشد اشيتي راحوا وأنا مملوك السلطان وعمري اعمل على ما يرضيه وأمشي حسب ما يختار ولا يجري مني شيء فتوجه قوصون واجتمع بالسلطان وعرفه هذا الحديث ، وآخر الأمر رسم بارساله إلى اسكندرية فجهزوا له حراقة ونزلوا به من القلعة تلك الليلة الذي ورد فيها وتوجه صحبته اسندمر العمري ولاجين امير جاندار والمقدم ابراهيم صابر فوصلوه إلى اسكندرية ورجعوا » . (الشجاعي مخطوط ، ٩٨٣٣ : ورقة ٦٧ ب)

من دراستنا المتفحصة هذه لمختلف جوانب الموضوع والمظاهر المتعددة للقضية التي تخفي بين حوادثها الكثير عن طبيعة التيارات التي كانت تشكل الكيان السياسي في سلطنة المماليك يظهر لنا بصورة واضحة أن تنكز الحسامي نجح بالفعل في الحصول على سلطة مطلقة لادارة الشؤون المحلية في بلاد الشام ، ولم يلتزم في كثير من الأحيان بمشاورة الناصر محمد حتى في معالجة ادق المسائل التي واجهته وهو في منصب النيابة ، بل إنه لم يهتم طوال فترة نيابته بسؤال الناصر محمد النصيحة ولو من الناحية النظرية ، فحظي طول الوقت بمركز قوى ومكانة رفيعة لم ينافسه فيها أحد . ومن جانب آخر كان الناصر محمد حذراً كثير الشك والارتياب ، ولم يكن له أي

ثقة على الاطلاق في أي من كبار الأمراء ، أو في أي ظروف جديدة قد تظهر .

وقد حدث فعلاً في وقت ما أن اصبح تنكز الحسامي أقوى أمير في سلطنة المماليك والحاكم المطلق في بلاد الشام تحت اشراف السلطان الناصر محمد . وفي ظل هذه الأحوال تنبه الناصر محمد إلى تلك السلطات اللامتناهية التي كان يتمتع بها نائبه تنكز في حكم بلاد الشام ، ومن هنا بدأت شكوك الناصر محمد في تصرفات تنكز الحسامي وأعماله حتى العادية منها والتي لا يمكن أن تثير الشك على أي حال من الأحوال . بالاضافة إلى ذلك بدأ الناصر محمد يخاف من تنكز الحسامي ، ويخشى ما كان يتمتع به من قوة وسلطة مطلقة . بل لقد بات الناصر محمد اشد ما يكون خوفاً من محاولة تنكز الوصول إلى الامساك بزمام السلطة العليا في سلطنة المماليك ، وأنه ربما يحاول ذلك اثناء حياة الناصر محمد أو خلال حكم ولي عهده أبي بكر .

ونتيجة لذلك بدأ الناصر محمد يضع الخطط للقبض على نائب الشام قبل أن ينجح في الاطاحة بحكم الناصر محمد أو على الأقل هذا ما كان الناصر محمد يفكر به ، وهو يرسم خطة مسك تنكز والتخلص منه نهائياً . ومن ثم استطاع الناصر محمد أن ينجح في تنفيذ خطة مناسبة ، وتم القبض على تنكز الحسامي ، وتخلص الناصر محمد بذلك من منافس كبير يخشى خطورته على استقرار الدولة المملوكية .

سياسة الناصر محمد تجاه كبار الامراء

وفي الحقيقة تعتبر هذه الدراسة صورة صادقة لطبيعة العلاقات بين الناصر محمد والارستقراطية الاوليجاركية من كبار الأمراء المماليك مع ملاحظة أن معظم هؤلاء كانوا إمّا من الذين ساعدوه في السابق للوصول إلى السلطة لتبدأ فترة حكمه في العهد الثالث الذي استمر حوالي إحدى وثلاثين سنة، وإمّا أنهم من المماليك السلطانية الذين جلبوا إلى القلعة صغاراً لينشأوا فيها ويتعلموا لكي يصلوا إلى المناصب العالية في الدولة ويشاركوا فيما بعد في حكم هذه السلطنة تحت رعاية الناصر محمد شخصياً واشرافه المباشر.

ونلاحظ أن الناصر محمداً كان طوال فترة حكمه حريصا على الامساك بزمام الحكم والسلطة في يده، ولذا كان دائب العمل على تقوية مركزه كحاكم أعلى في سلطنة المماليك، فلا يكون له منافس يهدد هذه المكانة أو يقلل من شأنه، كما كان حريصاً على أن يحيط نفسه بجماعة كبيرة من المؤيدين والاتباع من ذوي المكانة العسكرية البارزة والمعرفة العميقة بعلوم ذلك العصر.

كذلك اجتهد الناصر محمد - في سبيل تحقيق عاملي الثبات والاستقرار لحكمه - في اتباع سياسة غريبة في مظاهرها واتجاهاتها نحو مماليكه الذين أمرهم من اجل خدمته وتنفيذ مراسيمه لاستمرار تمتعه بالسلطة العليا، ولكن ما أن يحس بتلك القوة التي اصبحوا يحظون بها في وظائفهم العليا في الدولة حتى يبدأ بمحاولة مختلف الوسائل للتخلص منهم حتى لا يشكلوا تهديداً لحكمه.. ومن ثم اضحت تلك السياسة هي الطريقة التي كانت تميز حكم الناصر محمد وعلاقته بمن حوله من كبار الأمراء من اجل المحافظة على استقرار حكمه. وقد استمر الناصر محمد ينفذ هذه السياسة طوال حكمه رغم ما كان يميزها من طابع التناقض فقد كان يبدأ علاقته بهم بالصداقة الحميمة والكرم اللامتناهي فيغدق عليهم من المودة والإعزاز والعطاء، ولكن حينما يدرك انهم بدأوا يمارسون سيطرة مطلقة في ادارة الشؤون الوظيفية، وأصبح لهم الاتباع والمؤيدون حتى يمارس معهم اقصى مظاهر العداء فينتهي الأمر بالقبض على الأمير الكبير وقتله، بل وتتبع كل من كان صديقاً له أو تابعاً من مماليكه، فيتم التخلص منهم واستئصال شأفتهم، وقطع دابر كل من يحاول مساعدتهم أو التوسط لدى السلطان للرأفة بهم.

وقد اتبع الناصر محمد هذه السياسة مع نائب الشام تنكز الحسامي نتيجة لما وصل إليه من القوة والسلطة. إنّه ولا شك شعور شخصي وطموح لا محدود للتمتع بحكم مطلق في سلطنة المماليك. ويبدو أنه بدافع

من الرغبة في الامساك بزمام الأمور وبصلاحيات مطلقة وسلطة لا متناهية ، اجتهد الناصر محمد في العمل المتواصل لخدمة هذا الهدف الشخصي دون أي اعتبار لما يربط بينه وبين هؤلاء المنافسين من كبار الأمراء من روابط الصداقة ، ودون اعطاء أية اهمية لما بذلوه من جهود ضخمة في خدمة الدلة باخلاص وولاء كبيرين . كل هذا يذهب هباء ويصبح الهدف الأساسي هو قتل هذا الأمير ذي المنصب الكبير من اجل استمرار حكم الناصر محمد .

بالاضافة إلى هذا كله تظهر اهمية حصول السلطان المملوكي على ثروة كبيرة تزيد من قوة مركزه كحاكم لدولة المماليك ، ولهذا السبب حرص هؤلاء السلاطين على اقتناء اكبر قدر ممكن من النقد والأحجار الكريمة والعقارات ايماناً منهم بأن ذلك سيقوي من مركزهم السياسي ومكانتهم على كرسي الحكم .

ومن هنا جاءت فكرة التخلص من بعض كبار الأمراء المنافسين والاستفادة بالتالي مما تمّ مصادرته من اموالهم وممتلكاتهم حيث يتم تحويل تلك الثروات الطائلة إلى الخزانة السلطانية .

وهكذا دأب السلاطين المماليك على مصادرة كافة ما يملكه الأمير المغضوب عليه ، إلى جانب جميع ما يقع تحت ايدي اتباعه ومماليكه من اموال واملاك بحيث يحرم أهل الأمير المقبوض عليه من جميع مخصصاتهم . ونتيجة لذلك تمتع الحكام المماليك بثراء فاحش .

إلى جانب ذلك نلاحظ اهتمام الناصر محمد بالتباحث مع كبار الأمراء بخصوص مختلف الشؤون الداخلية في الدولة ، كما كان يصغي إلى آرائهم وأفكارهم لكي يشعرهم بهذا التصرف مدى أهمية مركزهم في البلاط السلطاني ، وضرورة وجودهم لاسداء النصيحة له فيما يريد مناقشته من أمور هامة ، على الرغم من أن رأى الناصر محمد فقط هو الذي كان يؤخذ بعين الاعتبار وينفذ فعلاً .

ونتيجة لهذا كله يمكننا القول أن المكانة السياسية لاولئك الأمراء ضعفت إلى حد كبير في عهد الناصر محمد في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وهكذا نجح الناصر محمد في اشباع رغبة الأمراء الكبار في المشاركة بتصريف بعض قضايا الدولة ، والمساهمة في ادارة الشؤون المحلية في الولايات المملوكية . ولكننا من ناحية أخرى ندرك تمام الادراك بأن الناصر محمداً لم يسمح لهم بالتمتع بتلك المكانة الرفيعة في البلاط الا نتيجة لثقته التامة بأن ذلك الوضع لن يؤثر بأي حال من الأحوال على مركزه السياسي وما يحظى بممارسته من صلاحيات مطلقة .

ويبدو واضحا أن الناصر محمداً كان دائم الشك في طبقة الاوليجاركية الارستقراطية من كبار الأمراء ، حذراً من تصرفاتهم ، خائفا من احتمال قيامهم بحركة ما قد تؤدي إلى الاطاحة بحكمه ، ومن أجل ذلك كان حريصاً على أن يكون ديبلوماسيا في علاقاته معهم في سبيل المحافظة على عرشه ، كما نجح في تعزيز كافة الأسباب التي هيأت له حكماً ثابتاً ، الأمر الذي جعله يعيش حالة من

التوجس والترقب لما قد يظهر من مؤامرات حتى وصل به الحال إلى تفسير الكثير من الأعمال الطبيعية على أساس أنها تدابير قصد منها التهيوء والاستعداد لمؤامرة سيقوم بها هذا الأمير أو ذاك ، بغرض القضاء عليه .

ولا شك أن هذا يؤكد استطاعة الناصر محمد النجاح في الاشراف الشخصي المباشر لكل تحركات كبار الأمراء حيث كان دؤدبا على معرفة كل صغيرة وكبيرة سواء فيما يتعلق في القيام بمسؤوليات الادارة المحلية في ولاياتهم ، أو ما ينجزونه من أعمال خاصة بهم ، وقد هيأ له هذا الوضع مع التحسب الدائم لما قد يدبر ضده في الخفاء فرصة مناسبة لتأسيس حكم مستقر وثابت طيلة اثنتين وثلاثين سنة .

الهوامش

(١) انظر ترجمته ، ناصر ورقة ٣١ أ ـ ٣٣ ب ، ٥٤ ب ـ ٦٨ ب ، الدرر ، جـ ٩ ، ص ٣٨٠ ـ ٣٨١ ، ٣٩٢ ، الألباب ، ورقة ٢٠١ أ ـ ٢٠٤ ب ، درة ، ورقة ٢٩٧ أ ـ ب ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، ٢٣٧ ، ٣١٧ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، ٤٩٧ ـ ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ـ ٥١٢ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ـ ٦١ ، بدر ورقة ٣٩ ب ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، ٢٣٧ ، ٣١٧ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠ ، ٤٦٢ ، ٤٩٧ ـ ٥٠١ ، ٥٠٦ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ـ ٥١٢ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٣٤ ، ٣٨ ، ٩٣ ، ١٠١ ـ ١٠٢ ، ١١٥ ، ١١٩ ، ١٢٩ ـ ١٣٠ ، ١٤٥ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ـ ١٤٩ ، ١٥١ ـ ١٥٢ ، ١٥٣ ـ ١٥٨ ، ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٢٤ ـ ٤٢٦ .

(٣) انظر كذلك الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٦ .

(٤) ناصر ، ورقة ٥٤ ب ، الألباب ، ورقة ٢٠١ أ ، درة ، ورقة ٢٩٧ أ ـ ب ، العبر ، المجلد الخامس ، ق ٤ ، ص ٦٤٨ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ١١٨ ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٥٢٠ ، بدر ، روقة ٤٠ أ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٣٤ .

(٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ١٧٥ .

(٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٣٧٤ .

(٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .

(٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .

(٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٧ .

(١٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ص ٢٥ ـ ٢٦ .

(١١) الألباب ، ورقة ٢٠١ أ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ، بدر ، ورقة ٤٠ أ ، العبر ، المجلد الخامس ، ق ٤ ، ص ٩٤٨ .

(١٢) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣١٦ ، انظر كذلك ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٩٣ .

(١٣) ناصر ، ورقة ٣١ أ ـ ٣٣ ب ، ٥٥ أ ، الدرر ، جـ ٩ ، ص ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، الألباب ، ورقة ٢٠٢ أ ، عيون ، ورقة ١٦ أ ، العبر المجلد الخامس ، ق ٤ ، ص ٩٤٨ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٥ ـ ٥٦ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٣١٧ ، ٣٦٨ ، ٤١٧ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، بدر ، ورقة ٤٠ أ ، النجوم جـ ٩ ، ص ٣٨ ، ٩٣ ، ١٠١ ـ ١٠٢ ، ١١٩ ، ١٢٩ ، ١٣٠ .

(١٤) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٧٩ .

(١٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(١٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٩ .

(١٧) ناصر ، ورقة ٣١ أ ـ ٣٣ ب ، ٥٦ أ ـ ب ، الألباب ، ورقة ٢٠٢ أ ـ ٢٠٣ أ ، الدرر ، جـ ٩ ، ص ٣٨٠ ، ٣٩٢ ، عيون ، ورقة ١٦ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٢٣٧ ، ٣١٧ ، ٣٥٩ ، ٤١٧ ، ٤٣٦ ، ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، الدرر ، جـ ٢ ، ٥٦ ـ ٥٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ٩٣ ، ١٠١ ، ١٢٩ ، ١٥١ .

(١٨) الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٦ ، انظر كذلك ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٣٥٩ .
(١٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .
(٢٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٤٢ ـ ٤٤ .
(٢١) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤١٧ ، انظر كذلك ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٩ .
(٢٢) الدرر ، جـ ٢ ص ٥٩ ، انظر كذلك ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ .
(٢٣) النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ ، قارن السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ .
(٢٤) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٥٢ ـ ٤٥٣ .
(٢٥) السلوك جـ ٢ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٢٦) انظر ترجمته الدرر ، جـ ٢ ، ص ١٩ ـ ٢٠
(٢٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤١٨ ـ ٤١٩ .
(٢٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤١٦ ـ ٤١٧ .
(٢٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٦٦ ـ ٢٦٨ .
(٣٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٥٨ .
(٣١) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٢٧ ـ ١٢٨ .
(٣٢) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ٢١٢ ـ ٢١٣ .
(٣٣) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ٤٣٧ .
(٣٤) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٢٢ .
(٣٥) الألباب ، ورقة ٢٠٢ أ ـ ٢٠٣ أ ، انظر كذلك ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .
(٣٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١١٧ ـ ١١٨ .
(٣٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .
(٣٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٥١ .
(٣٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٤١ .
(٤٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ١٧٨ .
(٤١) ناصر ، ورقة ٣١ أ ـ ٣٣ ب ، انظر كذلك ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٦٠ ـ ٤٦٢ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٤٢) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٦١ ، انظر كذلك ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٢٩ ـ ١٣٠ .
(٤٣) ناصر ، ورقة ٥٤ أ ، ٥٧ ب ، مصر ، ورقة ١٣٢ ب ، ١٣٤ أ ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ ب ، عيون ، ورقة ٤٥ ب ، درة ، ورقة ٢٩٧ ب ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ، ٥٠٦ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، بدر ، ورقة ٤٠ أ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ ، مورد ، ص ٦٦ .
(٤٤) ناصر ، ورقة ٦٧ ب ـ ٦٨ ب ، مصر ، ورقة ١٣٦ أ ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ـ ب ، عيون ، ورقة ٤٤ ب ، ٤٦ ب ـ ٤٧ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، بدر ، ورقة ٤ أ ـ ب ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٢ ، مورد ، ص ٦٦ .
(٤٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ١٠ ـ ١٢ .
(٤٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٣٣ ـ ٤٣٤ .
(٤٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ .
(٤٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٩٦ .
(٤٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٢٢ ـ ٣٢٣ .
(٥٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٧٦ .
(٥١) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٧ .
(٥٢) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ١٣ ـ ١٤
(٥٣) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٤٨ .

(٥٤) عن « قلعة جعبر » انظر ياقوت الحموي ، مجمع البلدان ، جـ ٢ ، ص ١٥٠ .
(٨ اجزاء ، طبعة القاهرة ، سنة ١٩٠٦ م) .
(٥٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .
(٥٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٣٥ ـ ٣٣٦ .
(٥٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٥ ـ ٣٦ .
(٥٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٧٦ ـ ٧٧ .
(٥٩) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٣٧٦ .
(٦٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٢٦ ـ ٣٢٧ .
(٦١) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٤١ (رقم ٣٢٧٦) .
(٦٢) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٤١ (رقم ٣٢٧٧) .
(٦٣) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١ .
(٦٤) النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٩ ، انظر كذلك ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ .
(٦٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٩٤ ـ ٤٩٦ .
(٦٦) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، انظر كذلك النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٦٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٥ ، ص ١٥٤ .
(٦٨) السلوك جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٦٩) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٧٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٣٧١ .
(٧١) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٩ .
(٧٢) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ ، انظر كذلك النجوم جـ ٩ ، ص ١٥٩ ـ ١٦٠ .
(٧٣) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٥ ، انظر كذلك ، بدر ، ورقة ٣٩ أ .
(٧٤) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٦ ، انظر كذلك ، بدر ، ورقة ٣٩ أ ـ ب .
(٧٥) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ ، انظر كذلك ، بدر ورقة ٣٩ ب .
(٧٦) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ ، قارن ، بدر ، ورقة ٣٩ ب .
(٧٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٢٧٠ .
(٧٨) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٠ ـ ٣١ .
(٧٩) ناصر ، ورقة ٦١ أ ـ ب ـ الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٢٢ .
(٨٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١٤ .
(٨١) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٧ ، قارن ، الألباب ، ورقة ٢٠٣ ب ـ ٢٠٤ أ .
(٨٢) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٤٢ ـ ٣٤٤ .
(٨٣) انظر ترجمه ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٩٦ ـ ٩٧ .
(٨٤) الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ انظر كذلك ، العبر ، المجلد الخامس ، ق ٤ ، ص ٩٤٨ .
(٨٥) ناصر ، ورقة ٦٢ أ ، ٦٦ ب ، الألباب ، ورقة ٢٠٣ ب ـ ٢٠٤ أ ، السلوك جـ ٢ ، ص ٤٦٢ ، ٤٩٨ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٧ ، ٥٩ ـ ٦٠ ، بدر ورقة ٤٠ أ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٣٠ ، ١٤٩ .
(٨٦) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٨٧) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٨٨) ناصر ، ورقة ٦٢ ب ـ ٦٣ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٨ ، ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٧ .
(٨٩) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ .
(٩٠) ناصر ، ورقة ٦٢ أ ـ ب ، مصر ، ورقة ١٣١ ب ـ ١٣٢ أ ، السلوك ، جـ ٢ ص ٤٩٨ ـ ٤٩٩ ، ٥٠٠ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٩ ـ ٦٠ ، بدر ، ورقة ٤٠ ب ، النجوم ، جـ ٩ ، ١٤٧ .

(٩١) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٤٩٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٦ ، قارن ، بدر ، ورقة ٤٠ ب .
(٩٢) ناصر ، ورقة ٦٢ ب ـ ٦٣ ب ، مصر ، ورقة ١٣٢ أ ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٧ .
(٩٣) ناصر ، ورقة ٦٢ ب ، ٦٣ ب ، مصر ، ورقة ١٣٢ أ ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٧ .
(٩٤) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٤٣٦ ـ ٤٣٧ .
(٩٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٥٤ .
(٩٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ ـ ٣١٨ .
(٩٧) النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٧ ـ ١٤٨ ، انظر كذلك ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ .
(٩٨) ناصر ، ورقة ٦٣ أ ـ ب ، مصر ، ورقة ١٣٢ أ ـ ب ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٨ .
(٩٩) مورد ، ص ٦٦ ، بدر ، ورقة ٤٠ أ .
(١٠٠) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٨ ـ ١٤٩ .
(١٠١) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٨ .
(١٠٢) ناصر ، ورقة ٦٥ أ ، مصر ، ورقة ١٣٢ ب ، السلوك ، جـ ٢ ص ٥٠٠ ـ ٥٠١ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٨ .
(١٠٣) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٣٧٨ .
(١٠٤) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣٢٥ .
(١٠٥) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ٣٣٣ (رقم ٢٠٦١) .
(١٠٦) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٣ ، ص ٣٣٩ .
(١٠٧) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥١ .
(١٠٨) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٩ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥١ .
(١٠٩) السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٦ ـ ٥٠٧ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥١ ـ ١٥٢ .
(١١٠) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ١ ، ص ٢٢ .
(١١١) ناصر ، ورقة ٦٧ أ ، مصر ، ورقة ١٣٢ أ ، ١٣٤ أ ـ ب ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ، عيون ، ورقة ٤٥ ب ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ . الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، بدر ، ورقة ٤٠ ب ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٢ ، مورد ، ص ٦٦ .
(١١٢) الألباب ، ورقة ٢٠٤ ب ، انظر كذلك ، عيون ، ورقة ٤٥ ب .
(١١٣) النجوم ، جـ ٩ ، ص ٢١١ ، قارن ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٤٥ ـ ١٤٦ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ .
(١١٤) ناصر ، ورقة ٦٧ ب ـ ٦٨ ب ، مصر ، ورقة ١٣٦ أ ، الألباب ، ورقة ٢٠٤ أ ـ ب ، عيون ، ورقة ٤٤ ب ، ٤٦ ب ـ ٤٧ أ ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، بدر ، ورقة ٤٠ أ ـ ب ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٢ ، مورد ، ص ٦٦ .
(١١٥) مصر ، ورقة ١٣٦ أ ، انظر كذلك ، السلوك ، جـ ٢ ، ص ٥٠٧ ـ ٥٠٨ ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٦٠ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٣ ـ ١٥٨ .
(١١٦) عيون ، ورقة ٤٦ ب ، السلوك جـ ٢ ، ص ٥٠٧ ، النجوم ، جـ ٩ ، ص ١٥٢ ، ١٥٣ ـ ١٥٥ .
(١١٧) انظر ترجمته ، الدرر ، جـ ٢ ، ص ٣١٧ .

قائمة الاختصارات

الأرقام هنا تدل على رقم المصدر في قائمة المصادر والمراجع

ارشاد	السخاوي	١٢	
اغاثة	المقريزي	١١١	
الألباب	الصفدي	١٩	
الألطاف	ابن عبد الظاهر	٩١	
الإلمام	النويري	١١٨	
انباء	ابن حجر	٥٣	
انتصار	ابن دقماق	٦٠	
بحرية	حسن	٥٦	
بدائع	ابن اياس	٤١	
لبداية	ابن كثير	١٠٧	
لبدر	العيني	٢٣	
بيان	المقريزي	١١٠	
تاج	الزبيدي	٦٩	
تالي	الصقاعي	٢٠ ، ٨٠	
تبر	السخاوي	٧٣	
تتمة	ابن الوردي	١١٩	
تحفة	ابن بطوطة	٤٤	
تذكرة	ابن حبيب	٧	
تركية	مجهول	٢٩	
تشريف	ابن عبد الظاهر	٨٩	
المصطلح	العمري	٩٤	
تقويم	مجهول	٣٠	
ثمين	ابن دقماق	٨	
جواهر	مجهول	٢٨	
حسن	السيوطي	٧٤	
حوادث	ابن تغري	٤ ،	
	بردى	٤٥	
خبر	الذهبي	٦٣	
الخطط	المقريزي	١١٣	
خلفاء	السيوطي	٧٥	
الدر	الدواداري	٦٢	
الدرر	ابن حجر	٥٢	
درة	ابن حبيب	٦	
دول	الذهبي	٦٥	
ذيل	اليونيني	٣٧	
الروض	ابن عبد الظاهر	٩٠	
زبدة	المنصوري	٣٣	
زيتير شتين	زيتير شتين	٧٠	
سلاطين	مجهول	٢٧	
السلوك	المقريزي.	١١٤	
سنية	ابن الجيعان	٥٠	
شذرات	ابن العماد	٩٣	
صبح	القلقشندي	١٠٤	
الضوء	السخاوي	٧٢	
الطالع	الأدفوي	٣٩	
العبر	ابن خلدون	٥٧	

عجائب الجبرتي ٤٩
عصور حسن ٥٥
عيون ابن شاكر ١٦
فتح الباري ابن حجر ٥٤
فوات ابن شاكر ٧٦
كشف الظاهري ٨١
لسان ابن منظور ١١٥
مآثر القلقشندي ١٠٣
مالك الصفدي ١٨
المجتمع المصري عاشور ٨٥
المختصر أبو الفداء ٩٧
مدخل ابن الحاج ٥١
مرآة اليافعي ٣٦، ٢٠
مسالك العمري ٢٢
مصر مغلطاي ٣٢
معيد السبكي ٧١
المقدمة ابن خلدون ٥٨
ملوك ابن الفرات ٩٩
المنهل ابن تغري بردى ٤٦
مورد ابن تغري بردى ٤٧
ناصر الشجاعي ١٧
ناظرين الكرمي ٢٦
النجوم ابن تغري بردى ٤٨
نزهة مجهول ٣١
نهاية النويري ٣٥، ١٧
النهج ابن أبي الفضائل ١٠٠
واعون السيوطي ١٥
وافي الصفدي ٧٩
وجيز السخاوي ١٤

المصادر والمراجع

أولاً ـ مصادر مخطوطة :

الاسنوي: عبد الرحمن بن الحسن (ت ٧٧٢ هـ / ١٣٧٠ م)
١) الكليات المهمة في مباشرات أهل الذمة
مخطوط المتحف البريطاني **Or. 11581**

ابن أياس: محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)
٢) جواهر السلوك في أخبار الخلفاء والملوك
مخطوط كيمبرج **Qq. 74**
مخطوط دار الكتب ٦٢٠٣ ف ٦٤٨

البلوى : خليل ابن عيسى
٣) تاج المفارق في تحلية علماء المشارق
« رحلة البلوى »
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس **2286**

ابن تغري بردى: أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)
٤) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور
مخطوط بيرلين **9462**
٥) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي ، ج٢
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس **2072**

ابن حبيب: الحسن بن عمر (ت ٧٧٩ هـ /١٣٧٧ م)
٦) درة الأسلاك في دولة الأتراك مخطوط أكسفورد **March 223**
٧) تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه
مخطوط المتحف البريطاني **Addd. Rich 7335**

ابن دقماق: إبراهيم بن محمد (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)
٨) الجوهر الثمين في تاريخ الخلفاء والسلاطين
مخطوط أكسفورد **Digby Or. 28**

الذهبي: شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)
٩) ذيل تاريخ الإسلام
مخطوط شستربيتي **0041**
١٠) كتاب العبر في التواريخ
مخطوط أكسفورد **Digby Or, 15**
١١) تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام
مخطوط المتحف البريطاني **1558**

السخاوي: شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)
١٢) إرشاد الغاوي بل إسعاد الطالب والراوي للاعلام بترجمة السخاوي
مخطوط **1106**

١٣) ذيل دول الإسلام
مخطوط أكسفورد **349, 611**
١٤) وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام
مخطوط برلين **6463**

السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
١٥) كتاب ما رواه الواعون في أخبار الطاعون
مخطوط كيمبرج **Or 172 (8)**

ابن شاكر: محمد بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)
١٦) عيون التواريخ

مخطوط كيمبرج Add 2923
ج ٧ مخطـوط بدار الكتـب المصرية ١٤٩٧ تاريخ
ج ١٢ مخطـوط مصـور بالجامعـة العـربية ٣٤٥/٣ تاريخ

الشجاعي: شمس الدين (ت ٧٤٥ هـ / ١٣٤٤ م)
١٧) تاريخ السلطان الملك الناصر محمد وبنيه
مخطوط برلين 9833

الصفدي: الحسن بن عبد الله (القرن ٨ هـ / ١٤ م)
١٨) نزهة المالك والمملوك
مخطوط المتحف البريطاني Or. 6267

الصفدي: خليل بن أيبك بن عبد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)
١٩) تحفه ذوي الألباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 5827

الصفاعي: فضـل الله بن أبـي بكر (ت ٧٢٦ / ١٣٢٦ م)
٢٠) تالي كتاب وفيات الأعيان مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 2061

العليمي: مجير الدين عبد الرحمن (ت ٩٢٧ هـ / ١٥٢١ م)
٢١) تاريخ المعتبر في أنبـاء من عبر مخطـوط المتحف البريطاني Or. 1544

العمري: ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
٢٢) مسالك الأبصار
مخطوط أيا صوفيا 3417
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 2325, 2328

العيني: محمد بن أحمد (ت ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م)
٢٣) تاريخ البـدر في أوصـاف أهـل العصر Add. 22360
مخطوط المتحف البريطاني
٢٤) كتاب عقود الجمان في أخبار أهل الزمان
مخطوط كيمبرج Qq. 176

ابن قاضي شهبـه : أبو بكر أحمـد بن محمـد (ت ٨٥١ هـ / ١٤٤٨ م)
٢٥) الاعلام بتاريخ الإسلام
مخطوط أكسفورد Marsh 143

الكرمي: مرعـي بن يوسف بن أبـي بكر (ت ١٠٣٣ هـ / ١٦٢٣ م)
٢٦) نزهة الناظـرين في تاريخ من ولي مصر من الخلفاء والسلاطين
مخطوط شستربيتي 4907, 10

مجهول ؟
٢٧) تاريخ السلاطين والعساكر
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 1705

مجهول ؟
٢٨) تاريخ عصر السلوك في سياسة الخلفاء والملوك
مخطوط المتحف البريطاني Or. 6854

مجهول ؟
٢٩) تاريخ الدولـة التـركية (٦٥٠ - ٨٠٥ هـ / ١٢٥٢ - ١٤٠٢ م)
مخطوط كمبردج Qq. 14

مجهول ؟
٣٠) تاريخ البلدان المصرية في الأعمال
مخطوط [illegible] Qq. [illegible]

مجهول ؟
٣١) مرآة الزمان في ذكر الملوك والأعيان
مخطوط المكتبة الوطنية بباريس 1769

مغلطاي: إبراهيم (عاش في النصف الأول من القرن ٨ هـ / ١٤ م)
٣٢) تاريخ سلاطين مصر والشام وحلب
مخطوط برلين 9835

المنصوري: ركن الـدين بيبـرس (ت ٧٢٥ هـ / ١٣٢٥ م)
٣٣) زبدة الفكرة في تاريخ الهجرة
مخطوط المتحف البريطاني 23325, 11

ابن منكلي: محمد بن محمد (ت ٧٨٤ هـ / ١٣٨٢ م)
٣٤) الأحكام المملوكية والضوابط الناموسية
مخطوط دار الكتب المصرية ٢٣ فروسية

النويري: شهاب الـدين أحمـد بن عبـد الوهـاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م)
٣٥) نهاية الأرب في فنـون الأدب مخطـوط مصور دار الكتب المصرية ٥٤٩ معارف عامة الأجزاء ١٩ - ٣٠

اليافعي: أبو محمد عبد الله بن أسعـد (ت ٧٦٨ هـ / ١٣٦٧ م)

٣٦) مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان وتقلب أحوال الإنسان
مخطوط أكسفورد Marsh 176

اليونيني: موسى بن محمد (ت ٧٢٦ هـ / ١٣٢٦ م)
٣٧) ذيل مرآة الزمان
مخطوط مصور الجامعة العربية ٢٥٧/ ٢
تاريخ ، ج ٤

وثائق
٣٨) وثيقة دير القديسة كاترين جبل سيناء رقم ٣٣ ، ٣٤

ثانياً ـ مصادر مطبوعة :

الادفوي: أبي الفضل كمال الدين جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٧ م)
٣٩) الطالع السعيد الجامع أسماء نجباء الصعيد
تحقيق سعد محمد حسن
القاهرة ، ١٩٦٦ م

ابن الأكفاني: محمد بن إبراهيم (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٨ م)
٤٠) نخب الذخائر في أحوال الجواهر
تحقيق أ . م . الكرملي القاهرة ، ١٩٣٩ م

ابن اياس: محمد بن أحمد (ت ٩٣٠ هـ / ١٥٢٤ م)
٤١) بدائع الزهور في وقائع الدهور
٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٨٩٣ ـ ١٨٩٦ م

الباشا: حسن
٤٢) الألقاب الإسلامية ، القاهرة ، ١٩٥٧ م
٤٣) الفنون الإسلامية والوظائف ، ٣ أجزاء ، القاهرة ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦ م

ابن بطوطة : محمد بن عبد الله (ت ٧٧٩ هـ / ١٣٧٧ م)
٤٤) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار
القاهرة ، ١٢٨٧ هـ/ ١٨٧٠ م

ابن تغري بردى: أبو الحاسن يوسف (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٧٠ م)
٤٥) حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور
جزئين تحقيق ويليام بوبر
لوس أنجلوس ، ١٩٣٠ ـ ١٩٤٢ م
٤٦) المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي
الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٥٦ م
٤٧) مورد اللطافة في من ولي السلطنة والخلافة .
باشراف ج . د . كارليل
طبعة أوروبا ، ١٧٩٢ م
٤٨) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة
١٢ جزء ، القاهرة ، ١٩٢٩ ـ ١٩٥٦ م

الجبرتي: عبد الرحمن (ت ١٢٣٧ هـ / ١٨٢٢ م)
٤٩) عجائب الآثار في التراجم والأخبار
الجزء الأول تحقيق حسن محمد جوهر وآخرين .
الطبعة الأولى ، القاهرة ، ١٩٥٦ م

ابن الجيعان : يحيى بن شاكر (ت ٨٨٥ هـ / ١٤٨٠ م)
٥٠) التحفة السنية بأسماء البلاد المصرية
بإشراف ب . مورتز
القاهرة ، ١٨٩٨ م

ابن الحاج : محمد بن محمد (ت ٧٣٧ هـ / ١٣٣٦ م)
٥١) المدخل
٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٢٩ م

ابن حجر : أحمد علي (ت ٨٥٢ هـ / ١٤٤٩ م)
٥٢) الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة
٥ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٦٦ م
٥٣) إنباء الغمر في أبناء العمر
جزءان ، حيدر آباد ، ١٩٦٧ م
٥٤) فتح الباري بشرح صحيح البخاري
١٣ جزء ، القاهرة ، ١٣١٩ هـ / ١٩٠٩ م

حسن : علي إبراهيم
٥٥) مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني
القاهرة ، ١٩٦٤ م
٥٦) تاريخ المماليك البحرية القاهرة ، ١٩٦٧ م

ابن خلدون : عبد الرحمن بن محمد (ت ٨١٨ هـ / ١٤٠٦ م)
٥٧) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر
٧ أجزاء ، بيروت ، ١٩٦٥ م
٥٨) المقدمة
القاهرة ، طبعة دار الشعب .

دراج : أحمد
٥٩) المماليك والفرنج
القاهرة ، ١٩٦١ م

ابـن دقماق : إبـراهيم بن محمـد (ت ٨٠٩ هـ / ١٤٠٦ م)
٦٠) الانتصار لواسطة عقد الأمصار
جزءان في كتاب واحد
القاهرة ، ١٨٩٣ م

الدواداري : أبو بكر بن عبد الله بن أيبك (معاصر للناصر محمد بن قلاون)
كنز الدرر وجامع الغرر
٦١) ج ٨ الدرة الزكية في أخبار الدولة التركية
تحقيق و . هاريمان ، القاهرة ١٩٧١ م
٦٢) ج ٩ الدر الفاخر في سيرة الملك الناصر
تحقيق هـ . ر . روبمر ، القاهرة ١٩٦٠

الذهبي : شمس الدين محمد بن أحمد الشافعي (ت ٧٤٨ هـ / ١٣٤٨ م)
٦٣) العبر في خبر من غبر
٥ أجزاء ، الكويت ، ١٩٦٠ - ١٩٦٦ م
٦٤) خلاصة تهذيب الكامل في أسماء الرجال
تحقيق أ . أ . الخزرجي
القاهرة ، ١٣٢٢ هـ / ١٩٠٤ م
٦٥) كتاب دول الإسلام
جزءان ، حيدر آباد ، ١٣٣٧ هـ / ١٩١٨ م
٦٦) سير أعلام النبلاء
٣ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٥٦ - ١٩٦٢ م
٦٧) تاريخ الإسـلام وطبقـات المشاهـير والأعلام
٦ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٦٨ - ١٣٦٩ هـ / ١٩٤٨ - ١٩٤٩ م
٦٨) تذكرة الحفاظ
٤ أجزاء ، حيدر آباد ، ١٨٩٧ م

الزبيدي : محمد مرتضى الحسيني (ت ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م)
٦٩) تاج العروس من جواهر القاموس
طبع منها ١٦ جزء ، الكويت ، ١٩٦٥ - ١٩٧٦ م

زيتيرشتين :
٧٠) تاريخ سلاطين المماليك
نشرة كارل ف . زيتيرشتين ليدن ١٩١٩ م

سبكي : تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب
٧١) معيد النعم ومبيد النقم
طبعه داود وهلم موهر من ليدن ١٩٠٨ م

السخاوي : شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢ هـ / ١٤٩٧ م)
٧٢) الضوء اللامع لأهل القرن التاسع
١٢ جزء ، القاهرة ، ١٣٥٣ - ١٣٥٥ هـ / ١٩٣٤ - ١٩٣٦ م
٧٣) التبر المسبوك في ذيل السلوك القاهرة ١٨٩٦ م

السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م)
٧٤) حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة
جزءان ، تحقيق م . أ . إبراهيم القاهرة ، ١٩٦٧ - ١٩٦٨ م
٧٥) تاريخ الخلفاء
تحقيق م . م . عبد الحميد القاهرة ، ١٩٦٤ م

ابن شاكر : محمد بن أحمد الكتبي (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٩٣ م)
٧٦) فوات الوفيات والذيل عليها
٤ أجزاء ، تحقيق إحسان عباس
بيروت ١٩٧٤ م

الشوكانـي : محمـد بن علي (ت ١٢٥٠ هـ / ١٨٣٤ م)
٧٧) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع
جزءان ، القاهرة ، ١٣٤٨ هـ / ١٩٢٩ م)

الصفـدي : خليل ابـن أيبـك بن عبـد الله (ت ٧٦٤ هـ / ١٣٦٣ م)
٧٨) إمارة دمشـق في الإسـلام ، دمشـق ، ١٩٥٥ م
٧٩) الوافي بالوفيات
٨ أجزاء ، ١٩٣١ - ١٩٧١ م
نشرة **Bibliotheca Islamic**

الصقاعي : فضل الله بن أبي الفخر
٨٠) تالي كتاب وفيات الأعيان تحقيق جاكلين سوبله
دمشق ١٩٧٤ م

الظاهـري : خليل بن شاهـين (ت ٨٧٢ هـ / ١٤٦٨ م)
٨١) زبدة كشف الممالك

تحقيق بول ريفز
باريس ١٨٩٤ م

عاشور : سعيد عبد الفتاح
٨٢) العصر المماليكي في مصر والشام
القاهرة ، ١٩٦٥ م
٨٣) مصر في عصر دولة المماليك البحرية
القاهرة ١٩٥٩ م
٨٤) مصر في العصور الوسطى من الفتح العربي إلى الفتح العثماني القاهرة ، ١٩٧٠ م
٨٥) المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك
القاهرة ، ١٩٦٢ م
٨٦) أوروبا العصور الوسطى ، الجزء الأول ، التاريخ السياسي القاهرة ، ١٩٦٦ م .
٨٧) بعض أضواء جديدة على العلاقات بين مصر والحبشة في العصور الوسطى .
مقالة في المجلة التاريخية المصرية ـ العدد الرابع عشر ٦٦ ـ ١٩٦٧ م .

عبد السيد : حكيم أمين
٨٨) قيام دولة المماليك الثانية القاهرة ، ١٩٦٦ م

ابن عبد الظاهر : محيي الدين أبو الفضل عبد الله (ت ٦٩٢ هـ / ١٢٩٢ م)
٨٩) تشريف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور
تحقيق م . كامل
القاهرة ، ١٩٦١ م
٩٠) الروض الزاهر في سيرة الظاهر
تحقيق عبد العزيز الخويطر
بحث دكتوراه ، لندن ، ١٩٦٠ .
٩١) الألطاف الخفية من السيرة الشريفة السلطانية الأشرفية .
ليبزج ، ١٩٠٢ .

العريني : الباز
٩٢) المماليك
بيروت ، ١٩٦٧ م

ابن العماد : عبد الحي أحمد (ت ١٠٨٩ هـ / ١٦٧٩ م)
٩٣) شذرات الذهب في أخبار من ذهب
٨ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٣١ ـ ١٩٣٢ م

العمري : ابن فضل الله (ت ٧٤٩ هـ / ١٣٤٩ م)
٩٤) التعريف بالمصطلح الشريف القاهرة ١٨٩٤ م

عنان : محمد عبد الله
٩٥) مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية القاهرة ، ١٩٦٩ م .

العيدروسي : عبد القادر ابن الشيخ بن عبد الله (ت ١٠٣٨ هـ / ١٦٢٩ م)
٩٦) كتاب تاريخ النور السافر
بغداد ، ١٩٣٩ م

أبو الفدا : إسماعيل بن علي (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣١ م)
٩٧) المختصر في أخبار البشر
٤ أجزاء ، القاهرة ، ١٣٢٥ هـ / ١٩٠٧ م
٩٨) تقويم البلدان
تحقيق م . رينود ، م . سلان
باريس ، ١٨٤٠ م

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧ هـ / ١٤٠٥ م)
٩٩) تاريخ الدول والملوك
ج ٨ ، تحقيق قسطنطين زريق وآخرين .
بيروت ١٩٣٩ م .

ابن أبي الفضائل : مفضل
١٠٠) النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد
ج٢ ، ٣ ، تحقيق أ . بلوشية
باريس ، ١٩٢٨ م .

فهمي : نعيم زكي
١٠١) طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب .
القاهرة ، ١٩٧٣ م .

الغرطي : عبد الرزاق بن أحمد (ت ٧٢٣ هـ / ١٣٢٣ م)
١٠٢) الحوادث الجامعة .
تحقيق مصطفى جواد
بغداد ١٩٣٢ م .

القلقشندي : أحمد بن علي (ت ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م)
١٠٣) مآثر الإنافة في معالم الخلافة
٣ أجزاء ، تحقيق عبد الستار أحمد فراج

الكويت ، ١٩٦٤ م .
١٠٤) صبح الأعشى في صناعة الإنشا
١٤ جزء ، القاهرة ١٩١٣ ـ ١٩٢٢ م

ابن القيم : شمس الدين محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ/ ١٣٥٠ م)
أحكام أهل الذمة
١٠٥) دمشق ، ١٩٦١ م .

كاترانوفا : يول
١٠٦) تاريخ ووصف قلعة القاهرة
ترجمة وتقديم أحمد دراج
مراجعة جمال محرم
القاهرة ١٩٧٤ م .

ابن كثير : إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ/ ١٣٧٣ م)
١٠٧) البداية والنهاية
١٤ أجزاء ، ١٩٣٢ م .

الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري (ت ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٧ م)
١٠٨) الأحكام السلطانية
المكتبة الثقافية ، القاهرة ، ١٣٨٦ هـ/ ١٩٦٦ م .

مسعد : مصطفى
١٠٩) الإسلام والثورة في العصور الوسطى .
القاهرة ـ ١٩٦٠ م .

المقريزي : أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/ ١٤٤٢ م)
١١٠) البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب
تحقيق م . عابدين
القاهرة ، ١٩٦١ م .
١١١) إغاثة الأمة بكشف الغمة
حمص ، ١٩٥٦ م .
١١٢) الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام
القاهرة ، ١٨٩٥ م .
١١٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار « الخطط المقريزية »
جزءان ، القاهرة ، ١٨٥٣ م .
١١٤) كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك .
ج ١ ، ٢ تحقيق محمد مصطفى زيادة
ج ٣ ، ٤ تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور
القاهرة ، ١٩٣٩ ـ ١٩٧١ م

ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري (ت ٧١١ هـ/ ١٣١١ م)
١١٥) لسان العرب
٢٠ جزء ، طبعة بولاق .

موسى : محمد يوسف
١١٦) ابن تيمية
القاهرة ، ١٩٦٢ م

النويري : أحمد بن عبد الوهاب (ت ٧٣٢ هـ/ ١٣٣٢ م)
١١٧) نهاية الأرب في فنون الأدب
١٨ جزء ، القاهرة ، ١٩٢٣ ـ ١٩٣١ م .

النويري : محمد بن قاسم بن محمد النويري الأسكندراني
(توفي بعد سنة ٧٧٥ هـ/ ١٣٧٢ م)
١١٨) كتاب الإلمام بالإعلام فيما جرت الأحكام والأمور المقضية في وقعة الاسكندرية .
تحقيق اتين كوهب ، عزيز سوريال عطية
٦ أجزاء ، حيدر آباد ، ١٩٦٨ ـ ١٩٧٣

ابن الوردي : عمر بن مظفر (ت ٧٤٩ هـ/ ١٣٤٨ م)
١١٩) تتمة المختصر في أخبار البشر بمجزءان ، القاهرة ، ١٨٦٨ م .

اليافعي : عبد الله بن أسعد (ت ٧٦٨ هـ/ ١٣٦٧ م)
١٢٠) مرآة الجنان وعبرة اليقظان
٤ أجزاء
حيدر آباد ١٣٣٧ ١٣٣٩ هـ/ ١٩١٨ ـ ١٩٢٠ م

ياقوت : شهاب الدين بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦ هـ/ ١٢٢٩ م)
١٢١) معجم البلدان
٨ أجزاء ، القاهرة ، ١٩٠٦ م

اليوزبكي : توفيق سلطان
١٢٢) تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي
الموصل ، ١٩٧٥ م .

Prince Tankiz Al-Husāmī

Dr. Hayat Nassir Al-Hajji

ABSTRACT

In dealing with the internal affairs of Syria during the third reign of Sultan Al-Nāṣir Muḥammad b.Qalawun we find it imperative to give a historical survey of the Mamluk provinces. Syria was one of the most important districts in the Mamluk Sultanate. Tankiz Al-Ḥusāmī was appointed by al-Nāṣir Muḥammad as chief officer of Syria and he remained in this post for thirty-two years. Within a short time the whole internal situation was changed. A general and thorough study of the internal affairs of Syria during this period would show that the fundamental nature of the political, economic, social and religious aspects of that Mamluk province were so changed and so greatly developed as to affect the personal ambitions and the political purposes of the state. Tankiz Al-Ḥusāmī himself was a vital factor which deeply affected the political situation of this period. Surely Tankiz Al-Ḥusāmī played an important role in providing political stability, peace, a Flourishing economy, and a steady advanced education for the Syrians, and he suceeded in proving his ability to fulfil his responsibilities. Nevertheless he never managed to satisfy Al-Nāṣir Muḥammad's personal ambitions. Consequently the whole situation ended with the arrest and execution of Tankiz Al-Ḥusāmī after a period of thirty two years in the governor ship of Syria. In the light of this we may assume that Al-Nāṣir Muḥammad was planning to be in power long before this political crisis and he suceeded to find fitting circumstances to accomplish his plan. In conclusion one might say that during the military rule which was established by the Mamluks and which continued throughout their long reign, the throne was the prize of personal prowess, courage and daring. The reigning Sultan therefore, had always to keep an open eye and a strong bodyguard. He also had to be concsious and aware of the decisive importance of the oligarchy of emirs; only then would he be able to carry out his work effectively.

ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS
KUWAIT UNIVERSITY
RULES OF PUBLICATION

1. The Annals of the Faculty of Arts at Kuwait University publishes orginal researches and studies made by present or previous staff of the Faculty of Arts at Kuwait University, in all the fields of the humanities and social sciences The Editor may accept for publication papers submitted by other contributors.
2. Researches or Studies should be written in either Arabic or English. Each should not be less than 40 pages (18000 words) other than the footnotes and the bibliography.
3. The contributors will please observe the following :
   A. The arrangement of the text, footnotes, references, documentation and bibliography should follow accepted scientific rules.
   B. Researches or Studies submitted to the Annals should not have been published elsewhere before.
   C. Each paper should have a preface of about 200 words.
   D. Three copies of the paper should be sent to the Annals. These copies must be accompanied with a one-page abstract in both Arabic and English.
   E. The cover page should have the following information : title of paper, name of author and the name of the academic institution he is affiliated with. On a separate sheet the author should give more information about himself, his career, his major works, his department or institution, and especially his full address.
4. Researches or Studies should be addressed to :

   Editor
   The Annals of the Faculty of Arts
   Faculty of Arts – Kuwait University
   P. O. Box : 26585 Safat – KUWAIT.
5. Researches or Studies received shall be confidentially sent to one or two specialised readers chosen by the editor, preferably from those outside Kuwait. If the readers' evaluations differ, the research shall be sent to a third reader, if the editor deems this necessary.
6. Authors submitting papers for publication in the Annals will be sent acknowledgement to this effect from the editor within a week after he receives their papers. The final decision as to whether their papers will or not be published will be conveyed to the authors within six months.
7. The editor will inform the authors of the final evaluation of their papers according to the following procedures :
   A. Authors of publishable papers will be informed by the editor that their papers shall be published. Authors will also be notified of the date of publication.
   B. Papers evaluated as publishable only after certain modifications and additions are complied with, will be returned to their authors who will make the required modifications and addition and final make them for publication.
   C. Papers deemed unacceptable for publication will be returned to their authors who should not expect reasons for the refusal of their papers.
   D. Fifty copies of the published paper will be given to the author.
8. Papers published in the Annals may be reprinted, and in such cases reference should be made to the Annals as the original publisher.

ANNALS OF THE COLLEGE OF ARTS

Issued by the College of Arts, Kuwait University

Volume No. 1, 1980

FOURTH MONOGRAPH

IN HISTORY

Prince Tankiz Al-Husami

Chief Officer of Syria

(712-741A.H./1312 - 1340 A.D.)

Dr. Hayat Nassir Al-Hajji

Department of History - Kuwait University

ANNALS OF THE COLLEGE OF ARTS

Issued by the College of Arts, Kuwait University

ORIGINAL MONOGRAPHS IN THE SOCIAL SCIENCES AND HUMANITIES.

Chief Editor : Khaldoun Al-Naqeeb
Managing Editor : Abdul Aziz Al-Sayed
Editorial Assistant : Mahmoud Barakat

Editorial Board

Sa'ad Abdel Rahman

Shafika Bastaki

Abdel Rasuol Al-Mosa

Abdallah Ahmad Al-Muhanna

Shaker Mustafa

Rasha Al-Sabah

Abdel Malek K.

Fahd Thaqib Al-Thaqib

Price of a single monograph : 500 Fils $2, in Kuwait
Price of the annual volume :

For individuals : K.D. 2/000 in Kuwait, U. S. $ 20,00 in all other Countries (by air).

For institutions : K.D. 10 per year in Kuwait.

U. S. $ 40,00 in all other Countries (by air)
50% Special discount for Faculty & Students.

Mail all communications, including publishing conditions and Subscriptions to :

Editor,
ANNALS OF THE FACULTY OF ARTS
P. O. Box : 26585 - KUWAIT.

ANNALS OF THE COLLEGE OF ARTS

Issued by the College of Arts, Kuwait University

FOURTH MONOGRAPH
IN HISTORY

Prince Tankiz Al-Husami
Chief Officer of Syria
(712-741A.H./1312 - 1340 A.D.)

Dr. Hayat Nassir Al-Hajji
Department of History - Kuwait University

Volume No. 1, 1980